تقديم إلي الساحة المقدسة لسيدنا ومولانا

صاحب العصر والزمان (أرواحنا له الفداء)

سر انـهيار
الثقافات والحضارات

المؤلف: إسماعيل شفيعى سروستانى

سر انهيار الثقافات والحضارات

المؤلف: إسماعيل شفيعى سروستانى

الناشر: هلال

الطبعة: الاولي

سنة ومكان الآصدار: ۲۰۱۵، طهران

ايران - طهران **ص ب ۸۳۴۷ ـ ۱۴۱۵۵**

هاتف: ۸۸۹۴۱۳۳۷ ـ ۰۲۱ (۰۰۹۸)

۸۸۹۴۱۲۳۵

فاكس: ۸۸۹۴۱۴۰۲

الفهرس

كلمة الناشر ٧

المقدمة ٩

فلاسفة التاريخ يبحثون عن حكمة التاريخ ٩

الفصل الأول ١٥

السنن الجارية في التاريخ ١٧

الحكمة ملازمة للعدالة والعدالة ضرورية للحكمة ٤٧

إن نتيجة إنعدام الوعي، هو الإرتباك لا النظام ٥٣

الإختيار ٨٢

سر الإنهيار ٨٥

فائدة التاريخ لدى المؤرخين التقليديين ١٠٣

التاريخ والتذكير ١٠٥

التاريخ يعيد نفسه ١٠٨

الفصل الثاني ١١٣
السنن الإلهية الثابتة التي لا تبديل فيها ١١٥
صعود وهبوط الدول والحضارات ١٣٧
لكل دولة وحضارة أجل مُسمّى..... ١٤٢
لكل دولة وحضارة، إمام..... ١٤٥
العبادة، كامنة في ذات الانسان ١٤٩
إيمان التاريخ المنصرم ١٦٠
الفصل الثالث ١٦٣
أسباب هلاك الأمم في منظور القرآن ١٦٥
١. ظلم و جور..... ١٦٦
٢. تكذيب الرُسل..... ١٦٧
٣. الذنوب و الفساد فى الأرض. ١٧٠
٤. حُب الدنيا..... ١٧٣
٥. البَطر والفساد المالي..... ١٧٥
٦. الفرقة والتشرذم..... ١٧٧
ثبت المصادر والمراجع ١٨٣

كلمة الناشر

إن «فلاسـفة التاريخ» رأوا أن من مهامهم كشـف فلسفة تنامي وتهاوي الثقافات والحضارات ومجئ ورحيل الشعوب والأمم، فيما عمل الحكماء الإلهييـن من خلال الرجوع إلى المصادر الوحيانية والسـنن السـماوية الجاريـة في التاريخ، لاكتشـاف سـر الكـون والحكمـة المعنوية لمجئ ورحيل الثقافات والحضارات.

وكل هـذا الجهـد والجدّ هو من أجل معرفة فـي أي نقطة من التاريخ يسـتقر الإنسـان العصري والمجال الثقافي والحضاري المعاصر وإلى أين سـيؤول مصيرهم وكيف يمكن العمل للحد من تراجعهم وسـقوطهم لكي يبقوا في قمة التاريخ إلى الأبد.

والمؤسف أن البشرية قد فقدت في خضم العالم العصري، كل إمكانية ومجال التفكير حول الكون والتسـاؤل المتسـم بالتفكير وهي تجرب في أكثر طبقات الحياة ضحالة السـير والسفر الطويل في أقصى أبعاد النوم

والأكل والغضب والشـهوة، وفي غفلة تامة عن هذا المعنى الذي أشـار اليه الشيخ الأجل سعدي الشيرازي:

إن الأكل والنـوم والغضـب والشـهوة، هـي شـغب وجهـل وظلمـة فالحيوان لا يعرف شيئا عن عالم الإنسانية

وهذا العمل، هو كتاب اخر من مجموعة «الدراسـات الثقافية» وضع بقلم الأستاذ إسماعيل شفيعي سروستاني في ثلاثة فصول.

إن اللغـة السلسـة والعصرية للكاتب تتيح هذه الفرصة للقراء الشـبان لتلقف وفهم الموضوعات الثقافية ببسـاطة وسـهولة. والمؤمل أن يسهم هـذا الكتاب بجانب الكتب والأعمـال الثقافية الأخرى للمؤلف في تنوير الرجـال والنسـاء الذين يغرقون فـي العالم الحديـث المعاصر في جُب التفكير ويأملون باكتشاف الدقائق المعنوية. إن شاء الله.

الناشر

المقدمة

فلاسفة التاريخ يبحثون عن حكمة التاريخ

إن تجربة حلول و زوال الثقافات والحضارات ومرور الانسان بتقلبات التاريخ، دفع ببعض الفلاسفة الذين يعرفون اليوم بـ«فلاسفة التاريخ» إلى دراسة وقياس هذا المجئ والذهاب والمبني على النظرة العالمية والإنطباع العام الذي كانوا يحملونه حول العالم والانسان و وفروا في ظل الجهد والمثابرة، إمكانية الوصول إلى صيغة وقانون في خطوة لتفسير هذا الصعود والهبوط الذي تمت تجربته على مدى الألفيات السالفة للأمم والحضارات.

والبعض بمن فيهم **ماركس** الذي كان يسير على خطى **هيغل** اعتمد «جبر التاريخ.» واعتبر ماركس المجتمع والتاريخ بانهما رهن بالإقتصاد وتطور أدوات الإنتاج ومجمل الصعود والهبوط مرتبط بهذه

الأدوات. ورأى بعض هؤلاء الفلاسفة أن بعض الناس هم كالخيول ومجموعات الأسماك التي تعيش في الأنفاق والقنوات المائية ولا تملك أي إرادة واختيار وتسلك مسارا ليس لديها أي إشراف على بدايته ونهايته وصعوده وهبوطه. وهاتان المجموعتان إعتبرتا أن الانسان يخضع للجبر ويفتقد لاي إختيار. وعلى أي حال فان الدافع لإكتشاف القوانين والتقليد الخاص لتفسير حركة المجتمعات والتاريخ وحلولها وزوالها، وجّه كلا من فلاسفة التاريخ باتجاه ما.

ومن بين العلماء المسلمين كان **عبد الرحمن بن خلدون الاندلسي** وبين علماء وحكماء الغرب كان **مونتسكيو** الفرنسي – عالم القرن الثامن عشر للميلاد – من أوائل الذين اهتموا باكتشاف التقاليد الجارية والسائدة في المجتمعات الانسانية.

وقبل قرون من هاتين الشخصيتين وسائر الرجال الذين اهتموا في حلة فلاسفة التاريخ بالبحث في هذا المضمار، كان «القرآن الكريم» تحدث عن السنن والقوانين التي تظهر سر مجمل مجئ وزوال وكذلك سمو وإنحطاط الأمم والمجتمعات. القدر وبتبعه المجتمعات الانسانية التي ستجرب السنن الثابتة التي لا تبديل لها. كل ما لا يؤثر كره أو رضا الانسان عليها ولا يستحدث تغير فيها.

إن القرآن الكريم وبعده المعصومين قد حددوا للمجتمع حياة وموتا وأجلا معينا وشخصية وموضوعية فضلا عن اعتبارهم الانسان مخيرا

لينتزعوا كل قيود الجبر والإجبار التي تقيده، ليجد كل انسان نفسه مسؤولا أمام كل ما يفعله وليس يرى في الوقت المعلوم نتائج كل ما فعله فحسب بل أنه سيخضع في خاتمة المطاف للمساءلة حول كل ما فعله، بحيث أن القرآن الكريم يقول بصراحة:

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ؛»[1]

وإستنادا إلى قول المغفور له **الشهيد مطهري** في كتابه «المجتمع والتاريخ» فقد ورد في الكتب التي وضعت حول فلسفة التاريخ أنه عندما يأتي الحديث على ذكر العوامل الدافعة وتطور المجتمعات والتاريخ، يتم الإشارة الى عدة وجهات نظر عامة.

النظرية العنصرية: ترى هذه النظرية ان العامل الرئيسي والدافع والمهيئ لتطور المجتمعات، هو بعض الأعراق. ووفقا لهذه النظرية فان بعض الأعراق ترى أنها تملك المواهب الكفيلة ببناء الحضارة والبعض الاخر يفتقد إليها. وثمة اشخاص بمن فيهم كنت **غوبينو** الفرنسي يدعمون هذه الرؤية ليفضلوا ويقدموا بذلك العنصر والعرق الشمالي على العرق والعنصر الجنوبي ويعتبرونه موهوبا لتعلم وتلقي العلم والصناعة والأخلاق والفن؛

النظرية الجغرافية: ومجموعة اخرى تعتبر أن العامل المؤثر الذي يسهم في بناء الحضارة والثقافة والإنتاج هو «البيئة الطبيعية.»

---

١. سورة المائدة، الآية ١٠٥ .

ويعتبـرون أن **مونتسـكيو** صاحـب كتاب «روح القوانيـن» هو من قدّم ودعـم هذه النظريـة. ومن وجهة النظر هـذه، فان ثمة مناطـق واقاليم خاصة قادرة على إنجاز الحداثة وتحقيق التقدم؛

نظرية الأبطال: ووفقـا لهذه النظرية فان التاريخ والثقافة والحضارة الكبـرى يصنعها العباقرة، رجال اسـتثنائيون يتمتعون بالموهبة والذكاء الخـارج والإبـداع ليجعلوا الاخرين يسـيرون خلفهم ويسـتحدثون فكرا وتقدمـا وانتاجـا. ويعـد **كارلايل** الفيلسـوف البريطانـي وصاحب كتاب «الأبطال» من مروجي هذه النظرية؛

النظريـة الإقتصاديـة: ويـرى أنصار هذه النظرية بـان الاقتصاد هو القـوة الدافعـة للتاريخ والتغيـر والتطور، ويدافع **كارل ماركس** و سـائر الماركسـيين عـن هذه النظريـة. ويعتبرون جميع الشـؤون الاجتماعية والدينية والسياسـية والعسـكرية بانها مظهر لاسـلوب الإنتاج وعلاقات الإنتاج الخاصة بالمجتمعات؛

النظريـة الإلهية: ووفقـا لهذه النظرية فان ما يحـدث في الأرض هو عمـل سـماوي هبط إلى الأرض تأسيسـا علـى حكمة بالغـة. وفي هذه الرؤية، فان تحولات وتطورات التاريخ، تشـكل مظهرا للمشيئة الإلهية الحكيمـة البالغـة. إن التاريخ هو مشـهد لدور الإرادة الإلهية المقدسـة. وكان **بوسـوية** المؤرخ والاسقف الشهير ومربي **لوئي الخامس عشر** من أنصار هذه النظرية؛

و قـد قام **الشـهيد مطهري** بنقد كل نظريـة، وأورد أدلته باختصار في دحـض كل من النظريات الخمس. لكنه يغلق دفتر الحديث عن المجتمع والتاريخ من دون أن يعلن رؤية أخرى أو يؤيدها. لكنه وقبل طرح هذه النظريات الخمس، يسـتند إلى الآيات القرآنية ليشـير إلى أربعة عوامل تسـهم في سمو وانحطاط الأمم. ويأتي على ذكر العدالة وغياب العدالة، والإتحاد والفرقـة، وتنفيذ أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والفسـق والفجور والتفسـخ الخلقي بوصفها معايير ومؤشـرات تنطوي بحد ذاتها على سمو أو انحطاط المجتمع والتاريخ.

إن ما يلي هذه المقدمة ويضع في مقدمة جدول أعماله عنوان «حكمة ولادة ووفـاة الثقافـات والحضارات»، هو مقال وضـع في صيف عام ٢٠٠٤ ونشـر بصـورة ملخصة فـي إحدى مجلات البـلاد. ومذاك، لم تتوفـر فرصة إعادة النظر فيه وإكماله، إلى أن أخذته بنظر الاعتبار في الأيـام الاخيرة مـن خريف ٢٠١٥. ولم أكن أرى أن من الجائز التماهل والتباطؤ أكثر من هذا وكتبت أخر قسم من المقال، لأجعله جاهزا للنشر مرة أخرى وبحلته الحالية.

وكل جهدي في هذا المختصر، انصب على تبيان مجموعة من السنن والقواعـد الثابتة والمنتشـرة على صعيـد المعمورة والكون، وتشـتمل بباطنها على أسـباب وأدلة سمو أو انحطاط الثقافات والحضارات. وكل القوانيـن الموضوعة التي إن تذكرها الإنسـان وأخذهـا بنظر الاعتبار،

يجد مجالا واستحقاقا للتنامي والطيران أو السقوط والتهاوي.

إن ما يميز هذا الكتاب عن سائر الأعمال المماثلة، هو لغته التمثيلية والشاعرية والمؤمل أن يوفر هذا النمط من الكتابة والتأليف وبمنأى عن غموض وملابسات الكتب الفلسفية أو الاجتماعية، إمكانية درك المعاني المتعلقة بهذا الموضوع لجميع شبان هذه البلاد.

إن شاء الله

شتاء ٢٠١٥

إسماعيل شفيعى سروستانى

الفصل الأول

السنن الجارية في التاريخ

لا أدري مـاذا سـيكون مـآل الأمـر الذي تجرأت بعد سـنة مـن التأمل والتريـث، للكتابة بشـأنه. ولقد تأملت مرارا وتكـرارا حول النطقة التي يجب أن أسميها بالضرورة نقطة البداية، لكن موجة جديدة كانت تدفعني كل مـرة إلى ورطة أخـرى. وربما كل هذا الترديد والتريث يظهر كون الموضوع متعدد الأوجه أو عدم هجوم الهواجس العديدة بشان الكثير من الحوادث الجارية التي ليسـت على غير علاقة بما أريد ان أكتب بشأنه، وربمـا يكون نوعا من التوتـر الناجم عن ضيق الوقـت والفرصة التي ألمسـها بلحمي ودمي. وكأن شـئ ما، يمسـك بمخالبة بروحي ويدفعني لتبيـان كل مـا أعتقد أنـه ضروري في أقصر الجمـلات، لكن ذلك غير ممكن.

أتذكـر يومـا، علقت فيه حتى السـاعات الأخيرة من مسـاء وليلة في

منعطـف جبل تغطيــه الثلوج وتحف به المخاطر، وبسـيارة كان توقفها ينتــزع مني إمكانيــة الحركة. هاجس البرد وهجــوم الذئاب والعواصف الثلجية والذي كان يداهمني أنا واثنين أو ثلاثة أخرين معي على الدوام، أوجد ظروفا عصيبة وانفعالية، لكن رغم كل ما جرى، فقد أنقذتنا العناية الإلهية.

وعندما كنت أتجــاوز في منتصف الليل، منعطف جبل «كولي كش» في طريق تغطيه الثلوج، تمنيت لو كانت لي القدرة أو الوسيلة التي أخبر فيها كافة ركاب السيارات التي كانت تأتي من الجانب الاخر من الطريق من أمامي، بالحادث الذي قد يقذفهم في مأزق الصعوبة والأخطار.

واليــوم أمــر ايضا بظروف خاصة، أشــعر فيها بنفس الإحســاس. إذ أشعر بنفس التسرع والاستعجال، بينما أرى الكثير من الأناس يخسرون أيامهم ولياليهم بثمن بخس من دون أن ينتبهوا إلى الأخطار المحدقة بهم، ويمضون عمرا عاديا لا يسمن ولا يغني من جوع.

إن عامــة الأمم والأشــخاص جربوا دائما مقتضيــات وظروفا ودفعوا أزاءهــا أثمانا وجربوها مرات ومرات وفي الأيام الخوالي، أو أن آبائهم مــروا بتلــك التجارب والظــروف. ويطلق أحيانا على هذه الواقعة اســم «التاريخ يعيد نفسه.»

إن التاريــخ وفــي أحــد أوجهه، يعرض ســننا ثابتة وخالــدة، القوانين التي تظهر نفســها في كل وقت وفــي أول فرصة، عندما تتوفر ظروفها

ومتطلباتها وتبرز وتفرض كل نتائجها وخصائصها، مثل جهوزية الماء للغليان، لكن ذلك يبقى خافيا ومستترا لكنه يظهر في أول لحظة عندما تتوفر ظروف ظهوره بسبب عنصر الحرارة.

وهذا الكلام يعني أننا نوفر من دون أن ندري أحيانا ظروف بروز سُنة وتقليد ما، وبعدها نرفع صوتنا بالشكوى ونبحث عن سبب هذه الواقعة.

وعندما تكون جميع هذه السنن الثابتة في جميع طبقات الكون، كامنة وتتحين الفرص، فان ثمة إمكانية لظهورها وبروزها في كل زمان ومكان وتبدي بالتالي نتائجها. ومن هنا يمكن التسليم بمعنى ومفهوم «التاريخ يعيد نفسه.»

والصورة الظاهرة ليست مهمة، المهم هو مفهوم وحقيقة هذه الواقعة التي تقع. أكانت «حلب» أو «بخارى» و «كراتشي» أم «العراق»، أكان **عمرو** أم **زيد**، كلهم يواجهون هذه السنن ويتحولون بالتالي إلى مكان ومجرى وسبب لظهورها وتداعياتها. ولا يمكن إتهام أحد أو إدانته. وربما هذا المعنى أسهم في تذكير الكثير من القدماء ليتخذوا من التاريخ عبرة ومرآة تعكس صورة الأجيال الصاعدة.

ولقد كان **كاووس ومحمود** و **نادر** مصاديق فحسب لكل الأناس على شاكلة كاووس ومحمود و نادر في كل الأدوار والأجيال السالفة، مثلما هو الحال مع **رازي** و **ابوعلي** و **ابوريحان** و...، فان لباس نادر و كاووس يستقيم الواحد تلو الاخر على أجسام أبناء آدم وهذا التقليد يستمر

و يمتد إلى أبد الآباد. سواء تظهر التعاسة وسوء الحظ في الحياة (أي الأرض)، أو السعادة والصيت الحسن. فالانسان يدخل منزلا وخانا يبدي فيه بين كل تلك السنن براعته وذكاءه أو غباءه وجهله وكسله، وهو يدفع بالتالي ثمن كل المتطلبات الناتجة عن ظهور السنن التي هي بالإجمال حصيلة أعماله وأدائه، وينضم إلى صفوف من هم على شاكلة **كاووس** و **محمود ورازي** و **هتلر** و آخرين. إن العالم هو بمجمله مكان ظهور بعض القوانين الثابتة. على غرار ألوف القدور الساخنة المليئة بالماء الموضوعة على بيدر من جمر وفي خضم حرارة متدفقة. وكل صاحب عقل وحصافة يعرف أنه سيشهد عاجلا أم آجلا غليان الماء في تلك القدور، إلا إذا... .

وكل واقعة تتشكل في ظروفها الخاصة بها. وبكل المقدمات والنهايات. في ظرف معين من الزمان والمكان ومساحة خاصة بها والأثر الذي تخلفه و الذي لابد من تجربته، مثل تلك النار وغليان القدر الذي يحدث في زمان محدد وبما يتناسب مع ظروفه و يغطي مساحة حسب مقدوراته ويظهر آثاره على من هم في حواليه. الحرارة واللهيب والغليان والحركة والتبخير ومئات التداعيات الجلية والخفية التي تدوم إلى حين بما يتناسب مع حدتها وشدتها وعمقها، و تترك على الرغم من انتهاء أجلها ومفعولها، أثرا خالدا لكنه غير مباشر أحيانا. تأثير مثل الإحتراق وحتى الموت الذي يأتي بعد الإحتراق. وهذا الأثر يبقى لمدة

مديدة ويضطلع بدور خالد في بعض الأحيان.

إن عدم إشرافنا على المتطلبات ونطاق آثار كل واقعة هو الذي يتسبب بعدم الإطلاع الكامل وبشكل جدير على تلك الواقعة ونطاق تاثيرها. و يكون هذا النطاق و المساحة أحيانا مجالا لتوسيع و تأثير الوقائع الكبرى التي تمتد أمواجها بالضرورة إلى الأبد، و ربما يصبح اتصال الزمان الفاني والكمي بالزمان الباقي والخالد والأبدي، ضرورة لأمور من هذا القبيل.

وهذا التواصل مع الأبدية والحدود اللا متناهية التي تستحدث أفقا واسعا للحركة، هو للتأثير ولبث كل موجة بكل ما تملكه من طاقات ومواهب وخالق الكون وحده قادر على أن يشرف على حدود كل واقعة وإحصائها.

ومن يستطيع إحصاء نطاق وعمق أثر هذه النار البسيطة والغليان البسيط لوعاء الماء؟! ومن يستطيع حساب النطاق والعمق القانوني المقرر والذي يتولد في لحظة قصيرة على ورقة صغيرة ومن خلال حركة الأصابع في صمت تام.

ومن يستطيع إحصاء نسبة الأجر الملائم لصاحب التوقيع؟! وهل ما يفعله، مجرد خط بسيط يُرسم على ورقة صغيرة؟! فهذا الإنطباع هو السذاجة بعينها. فالتوقيع هو بمثابة عود ثقاب يشعل نارا!

وبعد سحب عود الثقاب، وسحب زناد بندقية والضغط على زر

صاروخ وتوقيع بسيط على حكم ما، حينها تتشكل الواقعة، ويتسع نطاقها وتتحـرك، وتفرز توترا وتدمـر وتولد موتا، وتسـتحدث خطرا وتوجد جفافا وتنمي مجاعة وتشحذ نار الجشع ويزداد أثرها في كل لحظة.

إن الضغط البسيط على زر أو سحب عود ثقاب، هما كالقفل الذي يتم فكه.

وبعـد كل واقعـة، تبرز سـنة وقانون ثابت، وكل سـنة تبث متطلباتها الخاصة بها في تقدير وقياس ووعاء معين وخاص بها، وتصدر الأحكام الواحـد تلـو الاخر، مـن دون أن يريد أحـد ذلك ويتصـور أن كل هذه الاحـكام والقضاء والحادثة والأثـر المرضي يحظى برضا خالق الكون أم لا؟

فالسـنن ثابتـة و تقف في كمين، وعندما تخرج مـن الكمين فان أثرها سيكون حتميا. إن هدير صاروخ يبث معه أمواجا ساخنة وحارقة ويحول كل المـزارع الى أرض يابسـة وقاحلة، ويسـتحدث الموت ويزيل بزر الحياة من على حدود محددة من الأرض ويترك أثره إلى ما لا نهاية على الأناس والأرض والسماء وكل ما هو في مرماه أكان سافرا أو خفيا. إن هذه النار لا تحرق الإنسان وحده بل تحرق وتبيد الانسانية معها. إن هذا الاحتراق الخفي في الفضاء الخاص به، يظهر نمطا اخر من الإحتراق. الإحتـراق الذي هو اكثر بقاء ودواما من احتراق ملايين الهكتارات من الأرض المعمورة ومئات الألوف من البشرية والحيوانات.

إن مـرور الوقـت والزمـن ووقـوع الحادثـة لا ينطوي فـي حد ذاته على التسـامح و النسيان. إن نسـيان الواقعة لا يعني نسيان نطاق أثرها واتسـاعه، بحيـث أن أي إعتـذار وحجـة لا يقلل من حجـم المقدورات والمقدرات التي تكمن في الواقعة وتظهر بالإجبار. و هذا يشـبه الطيار الـذي ضغط علـى زر إطلاق القنبلة الذرية على «هيروشـيما» والقائد الذي كلفه بذلك، يريدان الحد من التداعيات الباقية لكارثة هيروشيما من خـلال تقديم الإعتذار أو ارسـال باقة زهور إلـى ذوي الضحايا، أو أن يعتبرا هذا الإعتذار رديفا ومساويا لكل ذلك الدمار الذي حصل.

وبنـاء علـى ذلك نشـير فيمـا يلي إلى بعـض الموضوعـات في هذا الخصوص:

١. إن تكريس السنن في جميع طبقات الأرض والسماء، ضروري لترتيب الحياة ونظامها وفاعليتها وديمومتها وسط الكون:

يمر الإنسـان باول وأبسط تجربة للسـنن والقوانين الثابتة الجارية في الكـون منـذ نعومة أظفاره وفي السـنوات الأولى حيـث يدب ويزحف. وعندما يرتطم كأس زجاجي بالأرض وينكسر، فانه يطلق صوتا وتتناثر أجزائـه علـى الأرض. وفي الحقيقة فان مجمل قـوة الإرتطام بالأرض والإنكسـار والتناثـر كامنة في الكأس، بحيث أن هذا الكأس يملك سـعة محددة من إحتمال الحرارة والبرودة والضغط.

فالأطفـال يتعلمون سـريعا بان ارتطـام البيضة بـالأرض يؤدي إلى تكسـرها، بينما هـذا الإرتطام يجعل الكرة تقفز إلـى الأعلى، أما العظم فيتحطم لكن الماء يجري على سطح الأرض.

وكل طفل يفهم بذات السرعة بان ما جربه و وجده، هو ثابت ودائمي. لذلك فانه ومن منطلق اللجاجة أو بقصد تحقيق هدفه ومطلبه، يرفع كأسا أو إناء قابلا للكسر على رأسه ويهدد وحتى أنه يضربه بالأرض وينكسر. وهذا الطفل عندما يمر باول تجربة بالإحتراق بواسطة لهب عود الثقاب أو موقد الطبخ، فانه يبدي ردة فعل عندما يقال له «سـتحترق» ويسحب يديـه بسـرعة لكي لا تحترق. وفـي الحقيقة فان قدة إدراك وتشـخيص «السنن وكونها ثابتة» كامنة في الظواهر والانسان وهي جزء من ذاته ووجوده.

إن مجمل هذه السـنن، تستحدث كالجدار العالي، حدودا بين الظواهر، ألا وهي الأشياء القابلة للكسر والإحتراق والسيلان والمتحجرة والصلبة و...، وهذه الحدود هي التي تحدد أداء ووظيفة كل من الظواهر وتؤدي إلى تشكيل ذكريات خالدة وأزلية منذ الأيام الاولى من حياة الانسان وإلى الأبد، بحيث أن كل دائرة التشـخيص والحـدود بين الظواهر، تنتقل من جيل إلى جيل.

وهذه الحـدود التي هي حصيلة «الخصوصية والصفات» الكامنة في الظواهـر، لا تحدد فاعلية أي منها، بل تظهـر نظاما معينا وثابتا وقابلا

للتجربة والتكرار. الشـئ الذي تطلق عليه البشرية اسم «القانون الثابت الذي يسود الظواهر.»

إن اسـتخدام هـذا القانون ومراعاته وحتى تنظيمـه وضبطه في وقت اسـتعمال الأشـياء حيث ينعش حياة الانسان و يزيد في كل زمن مقارنة بقبلـه، من لمعان وتألق وسـرعة وسـهولة الحياة وبسـطانة الإفادة من الاشياء.

إن هذا المسـتوى من الدرك والقدرة على اعتماد السـنن بالترافق مع «الدرك الثقافي الأسـمى» لحياة البشـرية في الكـون، يعمل على بلورة الحضارات.

إن «العلـم» بالمعنـى الحديث للكلمة، ليس سـوى هذا، و هو كشـف العلاقة المنطقية بين الظواهر وخواص المواد و اسـتخدامها في مسـار الأهداف والأغراض المختلفة.

إن موضوع اسـتخدام واستهلاك هذه القوى والوضع الثقافي للانسان، هو موضوع مستقل عن هذا المعنى.

إن أبسـط الظواهر وأعقدها، تنطوي في طياتها على خاصية وسـعة وقـوة وصورة خاصـة أودعت فيها بما يتناسـب مع حجمها وقياسـها، ومجمل هذه تبرز أشـياء أو ظواهر يعرفها الانسـان باسـماء واوصاف مختلفة، ويستولي ويسيطر عليها ويستفيد منها.

ومتـى ما تغير حجم وقياس الأجـزاء وخاصية كل من المواد المكونة

لشـــئ ما، فان شئيا اخر وظاهرة أخرى ســتتكون وتسيران على خطين منفصلين.

و يتحصـــل المـــاء مـــن قدر محدد مـــن الأكســـجين والهيدروجين ومع إضافـــة عنصر أخر اليهما، تتشـــكل مادة اخـــرى. إن مجمل هذا القياس والحجم والســـعة والخاصية هو «قدر» معين «قدره» خالق الكون. فان لم يكن هذا «القدر المعين» لما كان الماء. ولما كانت النار. كما أن هذا **القدر المعين** وفي وجه اخر يؤدي إلى تســـاقط الماء والتهاب النار. وإن لـــم يكن هذا **القدر المعين**، لمـــا كانت ثمة حدود لتفصل في الكون ملايين الظواهـــر عن أحداها الاخرى وتظهر نفســـها، بحيث أن التركيب الذكي للمواد على يد الانسان أو حدث خارج نطاق إرادة الانسان في الطبيعة، يسفر عن نمو وقيام ظواهر جديدة.

إن تمنـــي امتـــلاك ماء لا يبلل ولا يســـيل ولا يزيل عطشـــا، هو بمثابة تمنـــي الحصول على ماء هو ليس بماء. إن تلك الظاهرة التي لا ترطّب ولا تســـيل ولا تزيل العطش، ليست بماء. بل شئ اخر وبقدر معين اخر من العناصر والخواص الخاصة بها. إن الطبيعة الكامنة في الماء تؤدي الـــى التبلل والترطب وتلك الطبيعة الكامنة في النار التي تحرق. إن هذا القانون ضروري ولدوام وبقاء الكون لابد من نظام يقوم في الكون، وأن تستقر أيا من الظواهر في موضعها وإلى الأبد وتسهم في ديمومة الحياة.

٢. ظهور السنن، وراء ظهور القدرات الفعلية والنمو والتوليد!

وعندما يتجاوز الأطفال أولى سنوات التجربة واكتشاف القوانين والسنن الموجودة بداخل الاشياء والكائنات والظواهر ويجعلون من اللعب والتسلية وسيلة لتجربة واعتماد القوانين الثابتة بصورة مسلية، فانهم وبالإستعانة بقوة تشخيصهم التي تنمو بموازاة تشكل ونمو الأعضاء، يجربون الطرق البسيطة للاستخدام الصحيح لهذه السنن والتحكم بها وإدخال التغييرات عليها.

وعلى شاطئ البحر، يلعب ويلهو الأطفال، فيمزجون الماء بالطين لكي تساهم الخاصية الالتصاقية لحبات الرمل في بناء قلعة رملية بجانب الشاطئ.

وفي منتصف يوم شتوي بارد تعصر يد الاطفال، الثلوج وتصنع منها كريات، وتنطلق الريات الثلجية وتصطدم بوجوه ورؤوس الأطفال وتؤدي إلى برودتهم وفرحتهم وابتهاجهم. وهذا الثلج، يصبح على أرضية ملعب الأطفال عامل انزلاق يؤدي إلى سقوط الأطفال على الأرض ويلحق أضرارا بهم أحيانا.

فلا تلك القلاع الرملية تدوم ولا الانسان الثلجي في ايام الشتاء القارصة البرودة، فكل هذه تفيد للعب وحصيلة اللعب، وكلها وليدة الدرك الطفولي للاطفال للبيت والرمل والثلج والسد. وينتبه الأطفال بسرعة إلى ضعفهم وجهلهم وعجزهم، لكن يجب عليهم سلوك طريق طويل لكي يصلوا

الى القوة المعرفة. لكن هذه التجارب البسيطة التي تفهمهم بان الآصرة والإنفصام والرغبة والتنافر لبعض الظواهر، هي للهبوط على سطح الأرض أو الصعود منها. إن ثبات الخصائص وقدر الظواهر، وثبات الأواصر وتصدعات العناصر وظهور الفعل وردة الفعل للمخلوقات في موقعها وثبات القوة الدافعة والجاذبة، رهن بترتيب العناصر المكونة لكل من الأشياء والظواهر. وكل هذا هو حصيلة نوع من الوعي المعمق حول كل من العناصر الدقيقة والمنتشرة بما فيها الماء والسحاب والثلج والحرارة والبرودة والأرض والشمس والفراشة والعصفور والبقرة والانسان. العناصر التي خلقت وانتشرت في مواقعها، وتتحرك حول مدارها وتتسبب من دون إنكار وافراط وتفريط وتبعا لذلك التقدير والمقدرات، في ظهور الأحكام والقوانين، فتصنع الليل والنهار والربيع والصيف، وتؤدي إلى الولادة و... .

إن القلعة الرملية والانسان الثلجي يعكسان تشابك التقاليد الخفية بين العناصر بقدر إظهار نمو التفاحة الحمراء على غصن الشجرة. إن نمو التفاحة هو النتيجة الضرورية والحتمية وتمازح عناصر محددة بقدر معين وفي ظروف معينة، مثل تحطم زجاج النوافذ على اثر ارتطام قطعة حجارة يرميها طفل بها، والنتيجة الضرورية والحتمية لتلاحم قوة اليد في الرمي والقذف وصلابة الحجارة وهشاشة الزجاج.

وكل واحدة من هذه هي في قدرها المعين. فالحجارة والزجاج عندما

ينضـم عامـل ثالـث اليهما، مثل قوة يـد طفل لعوب فـي الرمي، تؤدي الى إرتباك وتحطم قدر ونسـبة الترابط بيـن العناصر المكونة للزجاج. والتحطـم ضروري، لانه فيما عدا ذلك، فـان الزجاج لن يكون زجاجا. إن التغيير في القياس والقدرة والنسبة في العناصر هي وحدها التي تزيد من مقاومتها.

إن ذلـك القانـون الـذي أدى الى أن تملكـون أنتم أشـياء مثل الزجاج وتسـتفيدون منه، فان هذا القانـون يؤدي في موضعه إلى تحطم الزجاج أيضا.

إن مكونات الزجاج تتماسك مع بعضها البعض في قدر وأحجام معينة لتصنع جسـما شفافا أما متكسرا وهشـا. لكن إن كان هناك شئ خارجي مثـل الحجارة، يربك هذا القدر والقياس، فان الزجاج سـيتحطم وينهار. فاذا أدخلتم عناصر ومكونات جديدة، لجعل الزجاج مقاوما أمام الصدمة والضربة، أي أن تجعلوه في مدار أعلى وقدر وحجم جديدين، فانه يبدي مقاومة أمام ضربة الحجر ولا يتحطم.

٣. تشكل وتبلور رزمة هذه السنن!

هـل حدقتم يومـا بأنامل صانع خزف ماهر وهي تلاعب طين الخزف أو صانع التماثيل وهو يلاعب عجينة التمثال؟ إن العجينة الناعمة، تتقلب كالشمع الطيع بيد النحات وصانع التماثيل، من دون أن تبدي ارادة منها،

و تأخذ شـكلا في كل لحظة. كالزهرة ورأس الانسان والفأرة و... اذ أن عجينة التماثيل تبدي شكلا خاصا في كل لحظة.

إن الأشـياء والأشـكال والعجينـة التي تجسـدهما، هـي صنيعة ذهن النحات. وإن لم يكن التشكل والمرونة والإنعطافة في العجينة والتي هي حصيلـة التناغم الحميمي لمكوناتها، لما كان تحصل أي صورة وتمثال، وإن لم تكن ثمة قاعد ونظام وترتيب في قدر وحجم مكونات العجينة، لما كانت هناك عجينة يستطيع النحات صنع تمثالا بواسطتها.

إن تشـكل وتبلـور العجينـة هما الإبـن الحميمي الكامـن في مكونات العجينـة، مثلمـا أن صلابة ومتانة الفولاذ أمام حـداد لجوج وعنيد، هما وليد تلك السـنن. والان إن ارتبك «قدر» العناصر أو أن نقحم عنصرا اخـر مثل الحمـض أو النار، فان الأواصر والوشـائح تتكسـر، ويتغير شـكلها وتتحصل مـادة أخرى بخاصية اخرى وبقـدر اخر. إن حصول الصلابة والمرونة، واللون والرائحة، والشكل والحجم، والتأثير والتأثر، كلهـا رهـن بهـذا القانون الثابت. وهـذا الثبوت هو قانـون يفرز صيغة علـى اثر تجربة النحات الحداد وصانع الخزف والرسـام لإعتمادها في اسـتخدام المواد، لكـي يقوم عند الضرورة وبسـرعة، ومن خلال مزج الأجـزاء وخفضها وزيادتها، بتوفير إمكانيـة إيجاد «خطة ذهنية» لديه واستخدامها في حياته المستديمة والجارية.

إن هـذه التجربة والدرك، هما جـزء متكامل من تجربة طفولة الحداد

والنجـار والخـزاف، حيـث يهدد من خـلال رفـع كأس أو صحن فوق الرأس أو رميه على الأرض لتحطيمه. وهذا هو الطفل الذي كان يصنع «الانسان الثلجي» ويستمتع بمشاهدة القلعة الرملية ويرمي الأشياء بعيدا بواسطة المقلاع.

إن التشكل والتأثير، هما وجه اخر من مجموعة السنن الثابتة الموجودة والمستترة بين الظواهر، إذ أن التجربة الانسانية تكشفها وتتصرف بها، لتسـتخدمها كيفما تشـاء وتتجاوز الشـؤون الجارية أو أن تترك أثرا من عندها لتبقى ذكرى خالدة في الأذهان.

إن هذه السنن خفية، لكن بمجرد أن تنضم مادة وشئ إلى مدارها، تبدي وتظهر نفسها.

تصـور الملايـين والملايين من المدارات في الذهـن! المدارات التي يملـك كل منها قاعـدة وقانونا ثابتا، لكنها مخفية ومسـتترة في الوجود، وبين جميع الظواهر وبين الأرض والسـماء، فعلى سبيل المثال، بمجرد تركيـب التراب مـع الماء بقدر وحجم معين، وعلى اثر تدليكه وسـحقه (فـي قـدر معين ايضا) يتحصل طيـن لزج ذي خاصيـة محددة وكذلك مقاومة وتشكل معين. وفي الحقيقة فانك تكون قد أقحمت هذه المواد بتلك المقدمات في مدار ثابت، أو نسقتها مع مدار ما، بحيث تظهر السنة الثابتة لتشكل الطين بحيث يكون بالإمكان الإمساك به من قبل يد الخزاف. وفي هـذه الدرجة، فان الطين ليس صاحـب اختيار وصلاحية، بل هو مطيع

وتابع لذلك المدار والسـنة، إلا إذا تدخلت الشـمس وتمتص الرطوبة من ذلـك الطين وترغمه على إظهار خصائـص اخرى وفي مدار اخر، بما فيها التكسـر والصـوت والقابلية على منع التسـرب، أي الإناء الخزفي الموضـوع بجانب الجدار والـذي يحتفظ بداخله المـاء. وهذا الحضور يجتذب عطشانا نحوه، ويذكره في الوقت ذاته بانه قابل للكسر والتحطم. ووجد العطشـان عن طريق التجربة، هذه القاعدة والسنة السائدة في هذا الشئ. وهذا هو الوعي والمعرفة التي تدفعه في وقت الغضب، إلى رفع الوعاء الخزفي فوق الرأس ورميه على الأرض ليظهر من خلال تحطم الإناء غضبه وعزيمته للاخرين.

إن القابلية على منع التسـرب، تتيح للجرة الإحتفاظ بالماء بداخلها كما ان القابلية على التحطم، تتيح لها أن تتكسر وتتحطم وتصدر صوتا منها.

لكن إن أحدث الخزاف قليلا من التغيير في التدوير والتدليك، ليوسـع فوهـة الجرة ويحولها إلى فوهة عريضة تشـبه فوهـة القدح، فان الجرة تتحـول إلى صحـن، إذ أنها تجتذب عازفا من خلال تغطيتها بجلد ناعم. صحن لآلة موسيقية بسيطة.

إن تغييرا بسـيطا وحده يرغم الأشـياء على التنقل من مدار إلى مدار اخـر، ويظهر بذلـك كل مدار خاصيته وقاعدته. ومن يكتشـف كل هذه القواعد هو الانسان. أنه قادر على اكتشاف القواعد واعتمادها.

فالإنسـان، يتعلم من الأقدمين، خطة ومشـروعا ذهنيا لتشكيل أي من

المـواد الخزفيـة أو الحـدادة، أو أنه يحصـل عليها من خـلال التجربة والإختبار. إن اطلاع الانسـان على ميدان العمل والأشياء التي يحتاجها يدفعـه من خـلال تغيير كم وكيف المواد وفـي الحقيقة التلاعب في قدر وحجم المواد، إلى الحصول على وسـيلة وشـئ يساعده بخاصية خاصة وقدر خاص، على فك عقدة في حياته.

إن الجـرة والقـدح والصحـن أو الآلة الموسـيقية التـي تصدر صوتا رخيما، مشتركة في المواد الأولية بما فيها الماء والطين و... . إن حاجة الناس لاي من هذه الأشياء، تدفع الخزاف والصانع لتغيير خطته الذهنية وتقليص وزيادة المواد، لإنشاء أشياء جديدة ومختلفة وبفاعلية اخرى. إن جميع هذه التغيرات تحدث على مساحة قاعدة السنن لا خارجها.

٤. لكل من المخلوقات، نصيب!

يمكـن تصـور، أن مجمـل المخلوقـات أكانـت الجمـادات والنباتات والحيوانات، تسير في مدارات وكل لها نصيب من مجموعة هذه السنن. فخاصيتهـا وصفاتها، تحدد نصيبها وقدرها، وأن الموهبة الكامنة، تميط اللثام عن قدراتهـا. القدرات الخاصة، التي تجعل من الممكن حضورها فـي المـدارات المختلفة وإظهار خاصيتها وفاعليتهـا. وكلما كان الكائن أبسـط كلما كان نصيبه أقل وقوته وموهبته أدنـى وبالتالي فاعليته أقل، وكلما كان أكثر تعقيدا، فان نصيبه أكثر وقوته أكبر.

إن هذه النسبة من النصيب والقدرة على التواجد في المدارات وإظهار السنن، تحدد مرتبة ومقام كل من المخلوقات وتكشف عن مدى الارتباط والنسبة مع سائر الكائنات. إن نطاق تأثرها ومساحة تأثيرها يتوقف على هذه القدرات والمقام. وهذا النطاق والمساحة يقعان هما في مدار ثابت أيضا، إلا إذا دخل عنصر اخر على الخط ويضع ذلك الشئ في مدار اخر. المدار الذي يمنحه مجالا أوسع للتأثير أو التأثر.

لقد سمعتم بلا شك بمصطلح «الفولاذ السبائكي.» إن كلا من المواد الثانوية أو تلك السبائك التي تمزج مع الفولاذ، تتيح للفولاذ أن يكتسب قوة أجدد بجانب خاصيته السابقة، فعلى سبيل المثال، فان المواد الخاصة تزيد أو تقلل من درجة إنصهار الفولاذ. ومادة اخرى تجعل الفولاذ أقل عرضة للتآكل أمام الإحتكاك أو التماس مع المواد الكيميائية. كما أن إضافة هذه المواد الجديدة رهن بمدارات جديدة لكنها قائمة وموجودة في الكون. إن المدارات الثابتة قائمة ويمكن كشفها. إن زيادة أو نقصان نسبة بعض المواد أو الإفادة من العوامل الحفازة تغير من طاقة أو جهوزية المواد. وفي الحقيقة فانها تغير من مكانتها وموقعها. وهذا التغير في الموقع يؤدي إلى ظهور خواص لم تكن تلك المادة قادرة على إظهارها قبل هذا، ولم تكن تستحدث ثغرة أو إشكالية لها.

وهذا الأمر ليس حكرا على الأشياء، فالنباتات تملك كل منها رتبة. وتملك نصيبا من الخواص والصفات، أو أن لها نصيبا من الصفات

المختلفة بأقدار وأحجام مختلفة. وخواصها تتوقف على هذا النصيب. إن طعم ولون ورائحة وشكل ومقاومة وتأثر الفواكه، رهن بهذا النصيب من المواد والسنن. إن نسبة أي من المكونات، تمنح الفواكه لونها الخاص بها وشكلها الخاص بها ونكهتها الخاصة بها وبالتالي خاصيتها الخاصة بها، وطالما لم يتدخل عامل خارجي في نسبة هذه المكونات أو لا يؤثر على جزء منها، فان كل شجرة تنتج في مدارها، فاكهة بميزاتها الخاصة بها. إنها عبد للمدار الذي تستقر فيه. إن اكتشاف هذه الخواص ثابت وهو ما يعين الانسان على استعمالها في علاج الأمراض والبناء وطعام الحيوانات و... . إن هذه الطريقة في التصرف، لا تؤدي دائما إلى ظهور صفات إيجابية بل قد تؤدي أحيانا إلى بروز خواص سيئة وتثير أزمات.

ولقد سمعتم أيضا أشياء حول «الهندسة الوراثية.» ويسعى العلماء في هذا الفرع من العلم لإدخال جينات جديدة أو تقليص الجينات أو التلاعب بها، لتحريك ونقل الحبات والفواكه من المدارات المستقرة فيها. ونقلها إلى مدار جديد وإنتزاع فاعلية جديدة منها. ومن هنا، فانهم يوجدون حبات وبزور مقاومة للسموم أو محصول غزير الإنتاج.

وهذا الموضوع ينطبق أيضا على الحيوانات، بحيث أن الانسان يعتبر أن صفة وفاعلية خاصة هي الغالبة في أي من الحيوانات. وهذه الفاعلية الخاصة، تعين الانسان على الإفادة من الحيوانات، وهذه

الفاعليــة والمكانة تخرج الحيوانات من البســاطة وتحولهــا إلى كائنات معقدة ومتعددة الأوجه. إن هذه الســنن والقواعد الثابتة، تمنح للحيوانات والنباتات «اقتضاء الطبيعة» الثابتة والخاصة. وتُعرف باقتضاء الطبيعة والقاعدة هذه. فهي لا تتمتع بقوة الإختيار للخروج من المدار الذي حددته ووصفتــه لها الطبيعــة، مثلما أن الملائكة غير قــادرة على الخروج من المدار الثابت الذي عُرّف وحُدد لها.

إن التأثيــر وإيجــاد التغيير في المدارات يتبع هو الاخر قاعدة وقانونا. والأمــر ليــس بلا حــدود وثغور، فان تجــاوز حده وحــدوده، فان أزمة ستندلع. والإختيار في الحقيقة هو تابع لهذه القواعد، رغم أن الانسان لا يعرف شــيئا عنها. وثمة موجودات كثيرة في العالم، من أبســط الصور إلى أعقدها، اصطفت وتؤدي دورا في التفاعل فيما بينها.

وكلمــا كانــت الكائنات أكثر تعقيدا، أي أنها تقترب من مدار الجمادات إلــى مــدار الحيوانات، كلما تمتعــت بمكانة أرفع وأعمــق في الخواص والصفــات، لدرجة يصبح من غير الممكن فصلها عن بعض المدارات، أو أن هذا التصرف لا يخرج في الحقيقة عن حد وثغر محدد. وهذا يتبع بدوره سنن أكثر تعقيدا ومدارات أقوى، وإن لم تعرف على الإطلاق.

ولا يمكــن إرغــام «الخروف» إطلاقا على أن يكتســب طبيعة الذئب الفتاكــة، أو انــه لا يمكن ترويض الذئب بحيــث يدخل «الترويض» في طبيعتــه ويتحــول إلى حَمَل وديــع، مثلما أن «القطة» لا تكتســب صفة

الوفاء الموجودة لدى «الكلب.»

وإن انتقلنا إلى طبقة أعمق، وهو ليس بموضوع هذا البحث، فان الأمر يبدي مزيدا من التعقيد.

وهل فكرتم يوما بحلية أو حرمة لحم الغراب أو الكلب؟

وتطلـق على هذه الحالة التـي تجعل من لحوم بعض الحيوانات حلالا أو نجسـا، اسـم الصفات الذاتية. وهذه تدور في مدار وسـياق، لا يمكن فصل الصفات الخاصة والمسـتقرة فيها، كما لو أردنا إنتزاع «النداوة» من الماء أو «الدهنية» من الزيت. أو أخذ «السـيولة» من السوائل. إن انتـزاع هذه الصفـات الذاتية يؤدي إلى ألا يكون المـاء، ماء أو الزيت، زيتـا. ويتحول إلى شـئ اخر بصفـات اخرى، بعبارة أخـرى فان هذه المقولـة وقبل أن تكون مرتبطة بـ«كمية» تركيبة العناصر والمواد ذات الصلـة، فانهـا ترتبط بـ«الكيفية» والشـؤون الكيفية. ولهذا السـبب فان التصرف في «الكميات» لا يسفر عن الخروج عن مدار «حرمة لحم» و«نجاسـة» حيوان ما، بحيـث إن عدم إنفصال وإنفـكاك هذه الصفات والخصائـص جعلـت «الحرمة والنجاسـة» أبدية فيـه، أي أن الحكم لا ينتزع منه إطلاقا، لان الحيوان لا يخرج أبدا من ذلك المدار. والنجاسـة في الحقيقة لم تعترض الحيوان، كما لو أن يد الإنسـان تنجسـت وتلوثت بنجاسة، بل أن النجاسة هي في ذات ذلك الحيوان ولا تفارقه.

٥. وهـذه القاعـدة، ضرورية لحركـة وديمومة الحياة وضرورية لنشـأة العالم!

ليـس مهما أن نكون مطلعين أو غير مطلعين، وأن نكون راضين عن كل شـئ أو غير راضين، نشكو أو نتسـلى و نلهو. فالقواعد والمدارات والسـنن، تفعـل فعلتها في الزمـن وفي الأرض والسـماء وفي الحيوان والنبـات. و تضفي معنى ونكهة ولونا للعالم والوجود بصورة مسـتمرة وثابتـة وقابلـة للتحديد وقابلة للتجربـة وقابلة للتكرار وفـي الوقت ذاته بشـكل متناسـق ومتناغم. و ربمـا إن لم تكن هذه المجموعة في نسـيج متسـق، وتسـلك كل من قواعد الحسابات، مسـارها لما كان الكون يدوم لاكثر من سـاعة واحدة. و هذه السـنن الثابتة أعطت في الوهلة الاولى إمكانية السير والحركة لجميع الكائنات بصورة فردية وجماعية، لان أيا مـن الظواهر، ومـن خلال إبراز صفة ما، تفضي إلـى الحركة والحياة وديمومة سائر الظواهر. إن حياة النبات ولونه ورائحته، رهن بالأمطار وخاصيـة هطول الامطار وجريان المـاء والقابلية على اختراق التربة. فالـكل يتبع الكل ويتبع القواعد والمـدارات الخاصة به. إن دورة الحياة من الجزء إلى الكل، هي حصيلة ديمومة هذه القواعد وأثرها على مجمل الكـون والوجـود. وإن لم تكن هذه الدورة، لما وجـدت الحركة، وإن لم تكن الحركة لما وجد النمو والتغير والتوليد والدوران، وإن لم يكن النمو والتغيـر لما وجـدت الحياة، بعبـارة اخرى، فان الحيـاة والحركة، هما

ضروريان لنشأة الدنيا وأن استمرار الحياة، كما أو كيفا رهن بتداوم هذه السنن. إن استقرار وثبات هذه السنن والمدارات يتسببان بظهور دورة ثابتة ونظام كالساعة واليوم والشهر والفصل والسنة، مثلما أن هذا الاستقرار يؤدي إلى ظهور الربيع والصيف والخريف والشتاء. وينطوي الشتاء على الربيع والربيع على الشتاء. وهذا الاستقرار أدى إلى بروز درك ثابت عن الحياة والتوالد والمجئ والرحيل والحياة لدى الانسان.

إن الأعمال الادبية والأدب، يمثلان مرآة تعكس هذا الدرك الثابت للانسان. إن التوالد والتوليد والنضارة والخضرة والوفاء وعدم الوفاء و... هي مفاهيم ثابتة ملأت جميع صفحات الأعمال الادبية وكل جيل يعقبه جيل يفهم كل هذا. ويكتشف مصداقه من دون أن يشك بدرك الأقدمين لهذه المفاهيم.

إن تمني ماء غير جار وغير سيال، لا يقبله أي صاحب عقل وحصافة، مثلما أن هؤلاء لا يتقبلون تمني ذئبا مروضا ودودة تراب مجنحة وخروفا متوحشا وتفاحة عديمة الفائدة. إن دورة الحياة من أبسط الكائنات وحتى مستوى الكائنات الأكثر تكاملا على امتداد الأرض وبين الكواكب، رهن بمجموعة المدارات الثابتة للكائنات وديمومة حياة هذه السلسلة وظهور خصائلها وصفاتها وسلسلتها المترابطة. لذلك فان عدد الحيوانات في الأرض والبحر متسق ومتناسب بصورة طبيعية (من دون

تدخل الانسان) بما يتناسب مع الدور والمسؤولية غير المكتوبة التي تتحملها والتواصل الذي تقيمه مع سائر الكائنات. فالفأر يلد سنويا الاف الفئران مثله، ومليارات النمل تتحرك على مستوى الغابة، لكن الاسود والذئاب والزرافات، تتوالد باعداد طفيفة. وإن لم يكن هذا التناسق والتناغم، فان مجمل الأرض لكانت تصبح تحت هيمنة وتحكم الفئران خلال سنة واحدة.

إن مجمل الكائنات تشبه عازف اوركسترا كبير، تعزف في موقعها وبآلتها الموسيقية وبقدرها وسعتها وشكلها وخاصيتها، حتى يصدح الصوت الرخيم للاوكسترا ويغطي فضاء الصالة بمجملها.

إن الموسيقى هي حصيلة التناغم والإيقاع، مثلما أن إيقاع الكون وتدوامه رهن بالتنسيق بين الكائنات والمدارات المستقرة فيها، وكل هذا ضروري للحركة والحياة واستمرار الحياة، وفيما عدا ذلك، تباد كلها عن الأرض في طرفة عين.

وهل فكرتم ذات يوم بتناقل الشمس بدرجة واحدة من مدارها؟ وهل كنتم بصدد اكتشاف دور لون أجنحة الفراشات ورفرفة أجنحتها بسكينة في وسط الصحراء؟ وهل فكرتم ذات مرة إنه أن ظهر الثعبان في هيئة عصفور، وتحول العصفور إلى شكل فيل، فماذا كان سيحدث؟

وليس مهما أن نعرف سر كل هذا أو حتى أن نكون بصدد اكتشاف هذا السر. وكل هذه الخصائص هي ضرورية للحركة الكلية للكون، وفي

هذا الخضم، فان كلا من الكائنات وبشكلها وهيئتها وقدها وطولها ولونها ورائحتها وخصالها وصفاتها وأنواع غرائزها تندرج في فئة أجزاء هذا الكل وتضطلع بدور في الكون حسب المدار الذي تستقر فيه، من دون أن يكون لها إختيار وصلاحية في وضعها وموقعها، أو أن تريد الخروج من هذا الوضع وكل هذا ضروري لنشأة العالم.

٦. السنن، هي بالضرورة مكان ظهور الحكمة!

هل فكرتم يوما بفرقة العازفين الذين تجمعوا في صالة ما، لكنه وعلى النقيض من المعتاد، يقوم كل منهم بعزف مقطوعة موسيقية حسب هواه ومختلفة عن الاخرين؟! حتى وإن تناغم مع سائر العازفين، لكنه يقوم بمفرده بعزف مقطوعة موسيقية مستقلة مع مراعاة جميع الظروف وبما يتناسب مع صفحة النوتات الموسيقية، فان ما تصغون إليه سيكون صوتا نشازا يزعج أسماعكم. والان إن تخلت هذه الفرقة عن ملاحظات عزف مقطوعتها المنشودة والسليمة وتمرر القوس على آلتها الموسيقية أو أن تضرب على الوتر أو أن يمرر الجميع من دون أي قاعدة القوس على الأوتار أو أن ينفخوا في المزامير من دون نظام وقاعدة ويقرعوا الطبول، فانه لن يكن من الممكن البقاء في تلك الصالة ولو للحظة واحدة؟

والكارثة تحدث بصورة أوسع عندما يبادر عازف الى الضرب على الطبل بالقوس وعزف الكمان باعواد الطبل أو أن يحمل عازف

السُـرناي، المضراب ويمررها على هذه الآلة الموسـيقية. وكل من هذه المفروضـات، تظهـر درجة من الإنهيـار والإرتباك إلى حـد الإنفجار بحيث أن كل مشـاهد، يحسـب هذا الجمع بلهاء ومجانين. وهذه الواقعية هي الازمة بعينها.

إن الدوام والتكرار، واللحن والإيقاع، والتنسيق والتناغم، مؤشر على سـيادة الإرادة والروح الواعية. أكان بين العازفين أو مطورو مبنى فخم أو حائكو سجاد نفيس.

وكلما زادت نسبة الظرافة والدقة وتعدد المراتب وتنوع الحالات وتنسيق وتشابك الأجزاء والديمومة والاستمرار، فانها تتطلب بالضرورة وجود قدرة هائلة ووعي بالغ وادارة وتدبر واشراف وتحكم. وهذا الأمر يتقبله كل صاحب عقل. إن التصفيق والتشـجيع اللذين يمارسـهما المستمعون والمشرفون، يعكس تأكيد قدرة وظرافة وبراعة العازفين.

إن الإشـادة والتسبيح في أي مسـتوى، مؤشر على هذا المعنى لدرجة أن أي لسـان وصّاف وأي عين ثاقبة لن تكون قادرة على درك العظمة والإشادة والتسبيح الشامل.

إن جمـال ودقـة وتناسـق مكونات وأجزاء سـاعة مـا، تدركونه أنتم مـن الخارج وتصفونه، لكن إن اصبحتم أنتم واحدا من أجزاء السـاعة، سـتكونوا قادرين على درك الأداء المتناسـق لجميع الاجزاء والمكونات بصورة كاملة.

وعندما تحلون أنتم بمفردكم محل قطعة واحدة أو بجانب ملايين الأجزاء وتصبحون جزء من سنة كبيرة وشاملة وتتأثرون بتلك السنن، لا تستطيعون بكل ما لديكم من عقل وحكمة وحصافة تصور ورسم مجمل النظام والشكل والقدرة واللطافة والدوام، ولا تستطيعون بلاشك الإشادة بشكل كامل. لان الإشادة التامة هي بالضرورة رهن بالإشراف التام، مثلما أن الفراشة غير قادرة على درك نسبتها ودورها بجانب غصن زهرة ناهيك عن درك وإشادة نسبتها ودورها تجاه الوجود والكون بكل تعقيداته. إن العظمة والتعقيد يحكيان بالضرورة عظمة العقل والحكمة.

أريد أن أقول، أن السنن الجارية والسارية في الكون والوجود، تعكس بالضرورة الحكمة، وهي ضرورية للإدارة الحكيمة للكون، لانه إن كان هذا النظام يفتقد إلى الحكمة والإدارة الحكيمة، فانه سينهار في طرفة عين. وأي حركة وأمر وأمارة لا تدوم مبدئيا بدون «وجود الحكم» و «ثبوت الحكم» و «وضوح الحكم» و «صحة الحكم» و «كمال الحكم» و «دوام الحكم» و«تناسق الحكم مع سائر الأحكام.»

إن الدعائم والأسس المهتزة والهشة، لا تتيح إمكانية البقاء والدوام. إن ما هو ضروري للإدارة الحكيمة هو صدور وتطبيق الأحكام بكل خصائصها آنفة الذكر، أي الثبوت والوضوح والصحة والدوام والتناسق.

إن السنن الجارية في الوجود، هي حكيمة بالمجمل وتفسح المجال للإدارة الحكيمة للوجود وتتمتع بجميع الشروط اللازمة التي تم الحديث

عنها. إن أبسط سبب لذلك هو دوام واستمرار الوجود وحركته المنتظمة وذي المغـزى، وعلى امتداد جميـع الأزمنة التي تعاقبت على العالم منذ الأزل وحتـى يومنـا هذا. إن هـذه الحكمة يمكن تحديدهـا ومعرفتها في الجـزء والـكل وبين جميع المراتـب وأنواع الكائنات. إن أبسـط مفهوم يمكن استنباطه من الحكمة هو العمل العاري عن «اللغو والعبثية» وأن يحظى بجميع «المعاني السامية.»

وعندما يتم الحديث عن «السـنن المنتشـرة في الطبقـات اللا متناهية فـي الوجـود»، فان هذه السـنن يجـب أن تكون بالضـرورة عارية في الجـزء والـكل عـن أي لغو وعبثيـة. وأن ترقـى إلى الشـأن المتعالي والسـامي للخالق الحكيم للكون. وعندما نأتي بحسـب التجربة والدراسة فـي السـطوح والطبقات المختلفة للحياة، على ذكر ما يسـمى «السـنن أو القوانين الجارية والسـارية بين مجمل علاقات ومناسـبات وسـطوح ومراتب الوجود»، نجد بان كلها وفي أجدر الحالات، عارية عن أي لغو وعبثة وحتى الإضافات والزوائد.

إن هكذا شـئ، لا يمكن أن يحصل إلا من قبل **حكيم حاكم** و **مدير مدبّر** وهو بالضرورة قديم ومطلق وأزلي وأبدي. لذلك فان هذه الطاقة الهائلة تنطوي بحد ذاتها على إمكانية الإدارة الحكيمة للوجود.

إن أعيننا شـاخصة تجاه العالم الملكي وهي صممت وخلقت خصيصا لمشـاهدة هذا العالم. إن تجاوز هذا العالم ومشـاهدة سائر العوالم، رهن

بالحصول على عين أخرى تتناسب مع تلك العوالم.

ولا يمكـن عدّ وإحصاء عـدد وتعدد العوالم الموجودة والمطروحة في الكون من أنزل المراتب الملكية إلى أعلى المراتب اللاهوتية، لكن وبما أن الانســان يعد كائنا أشرفا وأكرم المخلوقات، ويملك إمكانية السير في عموم العوالم ماعدا درك الذات الإلهية والدخول إلى ساحة أحدية الباري تعالــى، فانــه إذن صاحب قوة وجهوزية وموهبة للســير في هذه العوالم أيضــا. مثلمــا أن أبناء الإنســان المختارين من بيـن الأنبياء والأوصياء الإلهيين العظام، قاموا بالسـير والسـفر في الكثير من هذه العوالم، لكن كيفية كشــف كل القوى للســير في سائر العوالم ولقاء سكان تلك العوالم، هو حديث اخر لا يسع المجال هنا للتطرق اليه.

وفــي مجمل العوالم، وحســب حضور الخالــق الحكيم والمدبر في كل العالم ومشــرف علــى كل العوالم وخالق كل العوامــل، توجد مجموعة دقيقة من القوانين والسنن الثابتة والدقيقة والكاملة والجلية.

إن ما يحتفظ بكل هذه العوالم في نسـبة دقيقة معا وفي نسـبة مع خالق الكون والوجود ويقيم ويرســي مجمل الوجود، هي تلك الســنن والقواعد التي ليس من الميسر درك كلها.

٧. الســنن وبــروز النتائــج المتحصلــة من ســريانها، هي العدالــة ذاتها والمستندة إلى العدالة!

إن مفهوم ومعنى **العدالة** وعلى الرغم من تصور العوام، يندرج ضمن المفاهيم التي يدركها الانسان في أول فرصة من بين جميع العلاقات وبسرعة وقصد وعزيمة. أريد أن أقول بان درك العدالة يكمن في نفس وجوهر الانسان. إن الثناء على الجمال، والتناسب والتناسق، هو الثناء على العدالة، وهو الذي ورد في العبارة الشاعرية **كل شئ حسن وجميل في محله وأوانه.**

إن الطيبة والسلامة، و **العدالة ونقطة العدل** هي تلك **النقطة الطيبة**. أن ينال صاحب حق حقه، طيب بقدر توبيخ الظالم ومعاقبته. إن الطيبة لا تعني بالضرورة الارتياح الجماعي، بحيث أن ذلك الظالم إن كان يتمتع بدرجة من الصحة وسلامة النفس، فانه يقر بطيبة وحسن عدالة عقوبته.

وعندما يتناسب كل شئ مع شأنه وموقعه ويستقر في مكانه الحق، فان التناسب والعدالة سيظهران، وفي المقابل، فعندما يخرج شئ ما وإن كان يملك شأنا وموقعا، من محله فان عدم التناسب وعدم التناسق والظلم سيبرز. ولا يقتصر هذا المعنى على العلاقات الحقوقية والتعاملات والعلاقات الاجتماعية، بل يحظى بمفهوم واسع ومتعدد الاوجه.

إن تشييد بيت متعدد الطوابق على أساس هش ومهتز، هو عمل ظالم بقدر غصب مال صاحب حق مستضعف وفقير، وكذلك وضع انسان حقير وتافه في مكانة رفيعة ووضع شريف وكريم في مكانة حقيرة وتافهة، هو عمل ظالم بقدر صفع انسان مظلوم ومستضعف. إن حرمان

الانسـان المسـتضعف لكن صاحب الموهبة من تحصيل العلم والمعرفة وافسـاح المجال للمجنون والسـفيه لتحصيلهما، هوعمل ظالم بقدر إلقاء مخزن من القمح والشعير والارز في البحر أمام مرأى الجياع.

إن الشـمس وفي نقطة عدلها، تحصلت على إمكانية استمرار الحركة وبث النور والضياء الشـاملين، بقدر ما تستقر الكواكب في نقطة عدلها. إن ثقـل وصعوبة الجبـال ونعومة ولطافة الماء هـو ظهور نقطة العدل بعينـه. وكل هـذا، يُبرز بالإجمال التناسـب والتناسـق ويُظهر التوازن ويخلـق الجمال والحركة ويجعل من اليسـير ظهور الكمال والسـير في الكمال.

إن انتشار كل من الأجزاء في مكان وموقع متناسب مع شأنه ومكانته ووزنـه وشـكله، يؤدي إلى ظهـور العدالة، مثلما أن الدواليب المسـننة الصغيـرة والكبيـرة بداخل السـاعة تتيح فـي مكانها وبما يتناسـب مع وظيفتها، إمكانية عرض الساعة والوقت في ظل تنسيق ونغمة رخيمة.

الحكمة ملازمة للعدالة والعدالة ضرورية للحكمة

إن مجمل السنن السائدة في الأرض والسماء، تظهر «التناسب والتناسق والعدالة» الجارية في طبقات الكون والوجود. ومثلما أن استقرار «الجذر والساق والورق» في موضعه، يجعل التناسب والتوازن الجميل، مقدمة للنمو والتوليد، فان استقرار الأرض والشمس والقمر، يعد مقدمة لتوالي

الأيام ومجئ الفصول وولادة الطبيعة ومجئ ورحيل الزمان.

وإن كان مقررا أن تكون كل زاوية من العالم بيد شـخص ما، يُسيّرها حسبما يشاء، ماذا كان سيحل بالعالم؟

إن ديمومة التناسـق والتوازن بين جميـع مكونات الكون، على امتداد الزمـان والأيام، يظهـر وحدة الإيقـاع والوجهـة والإرادة الجارية بين الظواهر.

إن القدر والقياس المحدد لكل من الأجزاء والنسبة التي يجدها كل منها في موقعه مقارنة بسائر الاجزاء، وفي الوقت ذاته يبدي «التقدير» الذي تـم تعريفه لكل من الأجزاء، مؤشـر على تقديـر مجمل الوجود. أي أنه مثلمـا أن الأجزاء والظوهر تتعاطى مع «تقديرها»، فانها تتعامل أيضا مع «تقدير مجمل الوجود.»

وإن لم تكن «الفراشـة» فـي ظرفها وطاقتها، راضيـة عن تقديرها، والأمر نفسه بالنسبة لسائر المخلوقات والكائنات، فان نسبة هذه الأجزاء معا ونسبتها إلى الكل، ضمن تعقيداتها وعظمتها، تعكس «التقدير المتسم بالحكمة» لمجمل الوجود.

وقد تشـكلت ونشـأت الأشـياء والظواهر والكائنات من خلال تركيب ودمـج الأجـزاء في قياسـها وطاقاتهـا اللازمة والضروريـة، مثلما أن التركيـب الواعي لجزئين من الهيدروجين وجزء واحد من الأكسـجين، يتحصل منه H_2O أي الماء.

وعندما تتسبب **الاجزاء** المكونة لشئ ما، بجانب بعضها البعض وبالقدر المناسب والمحدد، بظهور ظاهرة أو كائن ما، فان ظهور تلك الظاهرة يمثل **الحكم** النهائي والقضاء المحتموم الذي يظهر.

إن إيجاد H_2O (الماء) هو الحكم والقضاء المحتوم لتركيب جزئين هيدروجين وجزء واحد اكسجين في الطبيعة.

وحسب هذا **التقدير** و **الحكم** ينهار جدار في الوقت المعين، مثلما يتم بناء جدار في موقع اخر، ومثلما أن وضع مكونات الجدار في تناسب كامل ونسبة كاملة فوق بعضها البعض يؤدي إلى بناء جدار عال وحسن. فإن خروج أي من المكونات من موضعها أو ظرفها وطاقتها لاي سبب كان، يؤدي إلى الإنهيار. إن تركيب ورصف الطابوق والملاط بقدر وحجم معينين وفي زاوية وترتيب معينين، يشيّد جدارا، لكن تبعثر قدر وحجم الطوابيق والملاطات أو طريقة الرصف، يؤدي إلى انهيار وتحطم الجدار. إن حكم وقضاء الوجه الاول يجعل من الجدار قائما ومثبتا، بينما قضاء الوجه الثاني، يسفر عن تحطم الجدار. وهذا الانهيار يعكس **العدالة** بقدر بناء الجدار.

إن الجدار الذي اكتسب أسباب الإنهيار والتحطم بالكامل، إن لم يسقط فان **ظلما** يكون قد حصل، أو أن عاملا أو سببا اخر دخل على الخط وحال دون انهيار الجدار، لكنه بقي خافيا عن أعيننا.

إن غروب الشمس يتسم بالحكمة والثبات والعدالة، بقدر شروقها،

أرضينـا بذلك أم لا نرضى. إن الشـروق والغروب يحدثان حسـب تلك السـنن الثابتـة، مثلما أن السـفينة تطفو فـوق الماء أو أنهـا تغرق بفعل الطوفان والأمواج العاتية حسب السنن ذاتها. إن السير على سطح الماء هـو حكم وقضاء ضروري وجدير، يبرز على اثر تقدير البحر والرياح وسائر العوامل ذات الصلة.

إن مجمل هذه الظواهر هي رهن بهذه السـنن وتابعة لها، من دون أن تعتـزم العصيان والتمـرد عليها، وإن تصورنا عزما وإرادة لإنسـحاب الظواهر، فان الأزمة ستنال من العالم برمته.

إن عـدم دركنا الصحيـح لهذه القواعد موجود ومسـتتر، بحيث نفرح بحـادث ونغتـم لاخر. وهذا هو ظهـور **القضاء** والحكـم المتحصل عن السنن الثابتة الذي يحدث حول الأشياء والأشخاص ويجعلنا نفرح ونغتم أحيانا.

وبسـبب عـدم إحتمالنـا، نعتبر حدثا ما، نهاية لمسـار تيـار ما، بينما وحسـب هذه السـنن المتسلسـلة، فان ثمة ترابطا عجيبا ومعقدا قائم بين سلسلة الوقائع، لكننا نغفله ونجهله.

وهـل فكرتم يوما، باننـا نعتبر حيلتنا وتدبيرنا، فاعـلا ومؤثرا وكافيا للحصـول علـى أمر ما، لكن مشـاهدة نتائج بغير ما كنـا نتوقع، يجعلنا نستغرب الأمر؟

وأي خطوة وتدبير نعتمدهما، يؤديان إلى ظهور تيار أو التموضع في

مدار من سلسلة المدارات، بصورة خفية لكنه قائم وموجود. وبناء على ذلك، فان تبعات اجراءاتنا، تبهرنا وتدهشنا. وتحدث الأمور بطريقة لم نكن نتصورها أبدا. فان كنا مشرفين على السنن ونتائجها واحكامها الحتمية، فان عنصر **المفاجأة** و **عدم التوقع** لكان يرحل عنا.

وحافلة تمر عبر طريق مُلتو ومُتعرّج. وكل مسافر يحدق براحة بال بالمناظر الخارجية عبر النافذة، ويرى نفسه والحافلة في موقع ومدار ومسار ما. وفي ذلك الوضع، ثمة مراقب عن بعد ومن على تلة مرتفعة، يرصد الزاوية التي تسير فيها الحافلة، فيرجح سقوطها في الوادي. أنه يتوقع أن واقعة ما ستحدث حتما. والمراقب الخارجي يعلن وفق مشاهدته لمسار وزاوية حركة الحافلة والوادي، مسبقا سقوط الحافلة، وهذا يمثل ظهور سنة بسيطة ليس إلا. إن حكم السقوط، هو القضاء الحتمي والجبري لطريقة حركة الحافلة في الطريق. فهل يمكن اعتبار ذلك المراقب الخارجي الذي توقع سقوط الحافلة، بانه مقصر؟

أريد أن أقول بان النتيجة العادية والطبيعية المتحصلة من أعمالنا في دائرة السنن، تسبب بظهور أمور ما. وهذه الأمور لا علاقة لها برضانا وحتى حكمنا على الأشياء، فان حدثت حادثة غير هذه، فانها ستكون غير متوقعة. إن دخول **عامل ثانوي** على الخط هو وحده القادر على الحد من وقوع أمر محتوم.

وهذا **العامل الثانوي** يؤدي إلى القفز إلى مدار اخر، ويربك التقدير

ويتسـبب بصدور حكم جديد. فمثلا نفير سيارة مارة، تمزق نعاس سائق حافلــة وتجعله ينتبه ليدير المقـود ويحول دون انقلاب الحافلة. والصحة هي ظهور سنة محتومة وأن انعكاس الظهور هو مدار اخر من المدارات الموجودة والجارية في الوجود.

إن مجمـل هذه السلسـلة ليس خارجا عـن **الحكمة والعدالــة**، بل بذلك المعنى الرئيسي أي تموضع كل شئ في مكانه وهو ما يؤدي إلى ظهور **حكم ثابت**.

٨. جملة هذه السنن، تتجه نحو وجهة ما

عندمــا تعمل كل من الأجزاء والدواليب المسـننة لسـاعة في **تقديرها** المعين (الشكل والحجم والنوعية والمكان و زاوية التموضع و...)، فان السـاعة سـتظهر الحركة الكمية والزمان، مثلما أن مكونات سـيارة ما، تسـبب في النهاية بالحركة، ومكونات جهاز الراديو تؤدي إلى اسـتقبال الأمواج وبثها عبر مكبر الصوت.

و**الوجهــة** النهائيــة هي التي رتبت المكونات بجانــب بعضها البعض، بينمــا يمكن لمكونات الوسـائل والأدوات المذكـورة، أن تتحول على يد مبدع مبتكر، إلى وسـيلة أخرى، فمثلا أن تصبح مكبرة صوت بدلا من الراديو أو مضخة ماء بدلا من السيارة. إن **وجهة المبدع المبتكر** تضطلع بدور أساســي في شكل الأجزاء وحجم المكونات و **طريقة تموضعها**. إن

الوجهــة المفترضة أو المنشــودة، تؤدي إلى إرتباك الخطة والمشــروع السابقين، وإيجاد خطة جديدة لنيل المقصود الجديد.

ومــا أن يظهر شــئ ما، فانه يميط اللثام مباشــرة عــن وجود نوع من **الوعــي** الخفــي والمســتتر. إن التكرار هو الإعلان عــن وجود نوع من الوعي المســتتر، صوت في راديو، وحركة في ســيارة ودوران عقارب في الساعة و... .

إن نتيجة إنعدام الوعي، هو الإرتباك لا النظام

إن نتيجة غياب **الوجهة النهائية** يتمثل في الحيرة والتيه والدوران حول الذات.

ولا يمكــن تصــور أن مكونات وأجزاء وســيلة ما، مثل الســاعة التي صنعت بدقة وتناســق وجمال واستقرت في موضعها، لكنها لا تسفر في النهاية عن بروز ظاهرة تدعى الساعة.

إن النظام في شــكل وقالب مكونات ســاعة ما وطولهــا وحجمها، هو هدف جزئي، لكن الوجهة النهائية هي الدواليب المسننة بصورة مستقلة، لكــن ترتيب وتقولــب المكونات وربطها ببعضهــا البعض، يمثل الهدف الأكثر كلية ووجهة أكبر لكل يدعى الساعة.

إن قيــاس مكونات شــبه موصل، مثل الترانزســتور والدقة التي بذلها الصانع في تركيبها، تؤدي في النهاية إلى تصنيع ترانزستور بحجم وقدرة

معينين. إن صنع الترانزستور بتلك المواصفات هو هدف جزئي، لكن عندما يرفق هذا الترانزستور بمئات المقاومات والدايودات والبطاريات بهندسة خاصة، فان الامر يفضي إلى خلق جهاز راديو بمكبر صوت. إن الأهداف الجزئية في الراديو، تعمل بتناغم وتناسق معا لتوجد هدفا أكبر وأكثر كلية، ألا وهو جهاز الراديو نفسه.

إن التناسق والدقة في تصميم مكونات جسم فأرة وقطة وكلب أو شجرة، يظهر الهدف والجهة الحكيمة. وهذا الهدف والوجهة الحكيمة، تؤدي إلى خلق **الكلب** بكل خصاله وصفاته الخاصة به، على غرار الترانزستور بمواصفاته الخاصة به.

إن هذه المكونات والأجزاء وبجانب بعضها البعض وبالتناسق فيما بينها، لابد أن تعلن عن **وجود** وجهة أسمى وأكبر. إن هذه المكونات تمضي قدما في خضم قانون **السنن** غير المكتوب، وتفضي إلى ماكينة أكبر وأكثر تعقيدا، وهي تمضي قدما أيضا حسب تلك **السنن**، أي الأفلاك والعالم الطبيعي والكون. إن جملة الكائنات وجملة السنن تتجه في نسيج متماسك (حسب وعي مصمم التقدير وخالق الوجود) وفي ترابط وارتباط وفي مسار عام، باتجاه وجهة محددة.

ولا يمكن تصور أن مهندسا ومن خلال إنفاق وقت وكلفة ومعرفته بأداء كل من هذه المواد والأجزاء، أن يرتب قطعا بجمال وبجانب بعضها البعض، لكنها تفتقد في الوقت ذاته لوجهة وغرض يبعث على

الهدوء والسكينة والإستقرار.

إن المكونـات وبأدائها الخاص بها، وتحت إدارة وإيعاز مهندس قدير، تبرز جميع الصفات والقدرات والسـنن الكامنة فيها. إن السـنن السـائدة في أي من الأجزاء تؤدي بجانب بعض ومعا إلى ظهور سنة أكبر. وفي هكذا وقت، فان أيا من الأجزاء لا يمكن لها أن تعمل خارج نطاق الشئ المقدر لها، أي أنه عندما يتم انتخاب مكونات دايود أو مقاومة في جهاز كهربائـي بدقة وترتبـط ببعضها البعض، لا يمكـن لها في ظل ظروف ومتطلبـات خاصة بهـا، ألا تؤدي إلى إيجاد **دايود** أو **مقاومة** بمواصفات خاصـة. وإن لـم يحصل هـذا، فان ثمة ثغرة في الأمـر. فمثلا أن تكون إحدى المواد فاسـدة وغير خالصة. وهذه المكونـات (المقاومة والدايود والترانزسـتور ووشـيعة اللف و...) إن كانت حسب تصميم مهندس ما وفـي ظرفها ومتطلباتهـا الخاصة بها، في موضعهـا ومكانها، لا يمكن لهـا ألا تؤدي إلـى صنع راديو بمواصفاته الخاصـة به. وإن لم يحصل هـذا الراديو، فـان ثمة ثغرة في موقع ما أو أن عنصـرا غريبا قد دخل علـى الخـط. وفي ظـل هذه المقارنة البسـيطة، أريد القـول أن كل هذه الدقة واللباقة في ظاهرة بسـيطة كالراديو، جارية وسـارية في الظواهر الطبيعية مثل الرياح والأمطار والسيول والبراكين وسطوع نور الشمس وتداول الأيـام. ومهما تكن النتيجة، فان الحصيلة هي **التصميم** وحصيلة **التصميم** رهن بالإطلاع على وجود وبروز السنن والوظائف.

إن مجمل الكون والوجود يكتسي معنى وتوجها من خلال تجمع كل هذه السنن وكل هذه المدارات الثابتة، في حين أن كلها رهن بالحكمة والوعي، حتى وإن لم يكن لنا علم بها.

إسمحوا لي القول: حتى أن اكتساب الوعي حول الحكمة والمعرفة الكبيرة السائدة في مجمل الكون، هو أيضا رهن بمعرفة طريقة الوصول إلى ذلك الوعي، وفيما عدا ذلك، فان ما يُقدم على أنه **الوعي** و **العلم** هو تقليد للوعي أي الجهل. مثلما أن أحدهم يريد عن طريق التعرف على زراعة الكيوي أو البطيخ الأحمر، أن يطلع على معطيات مهندس ومخلوق يده وذهنه، أي الأجهزة الالكترونية. إن وعيه يؤدي بلا شك إلى دحض وإنكار مهندس الالكترونيك هذا. حتى وإن وضع مئات المجلدات من الكتب ردا على ذلك، فانه يصر على جهله فحسب.

إن من لا يعرف شيئا عن الوجهة والغرض الرئيسي لصانع الساعة أو صانع السيارة ويريد التصرف في مكونات الساعة و السيارة بناء على رغبته، فانه يؤدي في أول خطوة إلى اختلال أداء هذه الأجهزة. فهو سيعطلها ويتسبب بأزمة. إن صناعة المكونات والقطع وإصلاح الأعطال والعطب في هذه الأدوات، هو الاخر رهن بامتلاك خطة وتعليمات الصانع الأولي والرئيسي لهذه الأجهزة.

وألا يوجد كتيب إرشادي ودليلي من المصنع المنتج مع كل من الأجهزة الكهربائية التي نشتريها؟ وهذا الكتيب وفي ظل معطياته

الأولية، يساعدنا على تشغيل هذا الجهاز والإفادة منه.

٩. السنن لا تجري في العالم المادي فقط!

وقد إنتبه القارئ الكريم بلا شك إلى هنا، إلى ما أقصد منه من السنن أو تلك **القواعد الثابتة** المسلم بها والتي لا تبديل فيها في الكون والوجود، وهي التي ما بين الظواهر تؤدي إلى حدوث ردات الفعل، والتقلبات، والصعود والهبوط، والضيق والوسع، وديمومة حركة الوجود واستمرار البقاء والتغير في الكم والكيف وبالتالي السير باتجاه الوجهات الجزئية والكلية السامية أو الدنيا.

ويبدو في الظاهر وفي المستهل، بان هذه **القواعد** هي خاصة بالعوالم المادية والتجريبة فحسب. إن الإطلاع على وجود هذه السنن ما بين الظواهر المادية أدت إلى التغير في صورة الحياة وظهور الحضارات وخلق الأدوات والوسائل وبالتالي الراحة والصعوبة على صعيد حياة الانسان، وإن جميع البشرية على علم واطلاع بشأنها كلها، وكل شخص يستخدمها حسب حاله ومقامه وظروفه لمعالجة وتسوية شؤونه، لكن القليل من التأمل والتفكير في عمل الانسان واموره، يظهر:

١. إن نطاق حضور وحياة الانسان ليست في هذا العالم الترابي أي الأرض والعالم الملكي وحده، إنما هناك عوالم اخرى، غير مرئية وظاهرة بالنسبة لنا؛

٢. إن قيــام هذه المنظومة الدقيقة والمعقــدة وذات الإيقاع والمتحركة والمتناميــة والهادفة ومتعدد الأوجه على **الوعــي والعدالة والحكمة** تعلن نسبتنا تجاه المرجع والمصدر غير المادي، لان أيا من العناصر المادية تفتقد لجميع الخصائص آنفة الذكر وفي الوقت ذاته ليســت مســتغنية عن **المدير والمدبر** في خارجها. وأي من الأشــياء المادية يمكن العثور عليها تعرف شيئا عن **العلم والعدالة والحكمة؟**

٣. إن إنتساب وحرص الانسان على العوالم المعنوية والتأثير والتأثر الناتج عن هذه العلاقة، هو بشكل بحيث أن القسم الأكبر من سير وسفر الانســان يتــم في العوالم غيــر المادية قبل العالم المــادي وبين الظواهر الترابية.

٤. بعبارة اخرى، فان الانسان والعالم المادي برمته، غارق في العالم غيــر المــادي والمعنوي، أي أن عالم الشــهود غارق فــي عالم الغيب، وأمامه عالم واسع مثل الكرة في ساحة كرة القدم.

٥. وكل ما يجري في ذلك العالم السامي، يترك أثره في العالم المادي، وفي المقابل، فان كل ما يرتكبه الانســان في العالم الملكي، يبرز ويبدي مباشرة وعلى الفور أثره ودوره في ذلك العالم.

ومثلما أن السنن الثابتة وبكل خصائصها تؤثر وتتحقق حتما في العالم الجاري ولابد للإنســان منها، فان هذه الســنن تعمل بشــكل أدق وأوسع وأكثــر تنوعا وأثرا في العالم المعقول وملكــوت الكون، وتضفي نظاما

ومغزى وجهة على مجمل العلاقة والنسب بين العالمين المادي وغير المادي، حتى وإن لا يملك أي من أبناء البشرية معرفة وعلما تجاهها، وفيما عدا ذلك، فان العبث والتشوش والإنهيار والأزمة تغطي جميع الساحات. فضلا عن أنه لا يمكن القبول بان العالم السفلي والأدنى، يحوي كل هذا الإمكان العالمي الدقيق والمنتظم، لكن العالم الأفضل والأسمى يخوض في الفوضى والإضطراب وغياب النظام.

إن المصدر الموحد للخلقة، يذكّر بضرورة وجود علاقة وتعامل بين هذه العوالم وضرورة انتشار السنن بين العوالم، أي مثلما أن هذه العوالم (المادية وغير المادية) متشابكة في النسبة والطول، فان الانسان بوصفه كائنا ذا مراتب، له ضلع في العالم المادي وضلع اخر في العالم غير المادي، وأن هذه العلاقة والنسبة لا تتركان الإنسان مطلقا، ولابد من أن هذا التعامل وهذا السير بين العوالم ينطوي على قاعدة ونظام وسنة قابلة للكشف وجادة وفي الوقت ذاته دقيقة وجارية ودائمة وغير قابلة للتخطي.

٦. وهذا الأمر يؤدي إلى أن تكون القواعد والسنن جارية وسارية بين الظواهر المادية، في الساحات الاخرى بما فيها ساحة الأخلاق وساحة المعتقد وساحة القلب. وعندما تعلن القواعد المكشوفة والجلية في العالم المادي والفيزيائية بان:

- لكل فعل، ردة فعل، متكافئة وبالإتجاه المخالف!

- الضغـط الذي يوجه على أي نقطة من ســائل ما، ينتقل بالضبط إلى جميع نقاط السائل!

وهذه القواعد الفيزيائية (بمعنى وجود النظام والتنســيق والتناغم و...) جاريــة بيــن الظواهر المادية وعلى صعيد الظواهر غير المادية، أي أن الظاهرة الفيزيائية والظاهــرة الميتافيزيقية، تتبع هذه القواعد ومترابطة مع بعضهــا البعض وتتأثر ببعضها البعض، إلا أن نطاق ودائرة التأثير ونوع بروزها وظهورها، مختلف. وهذه القواعد مؤشــر على العلاقات بين جميع الظواهر الميتافيزيقية.

إن مجمــل الظواهــر الفيزيائية (تتبع قواعد وســنن منطقية ولا تتغير ونافذة) في علاقة وتناسب مع بعضها البعض، ومثلما أن كافة الظواهر الميتافيزيقيــة، مختلفة عــن الظواهر الفيزيائية من حيــث النوعية والكم والكيف، لكنها تتبع تلك القواعد والســنن المنطقية التي لا تبديل فيها. إن النســبة والعلاقة الدقيقة بين هذيــن العالمين، تؤدي إلى أن كل ما يحدث فــي العالم الفيزيائي، ينعكس في العالم الميتافيزيقي، أو على العكس، ما يتكفله الانســان في الســاحات الأخلاقية والمعنوية ويتولاه أو يتسبب به، يرى أثره في العالم الفيزيائي أيضا.

والملفــت هو أنه فــي أي من العوالم، فان **اعمالنا وســلوكنا** يضطلعان أحيانا بدور مفتاح وعتلة لحدوث واقعة في العالم الاخر. وسنشــرح هذا الموضوع باسهاب في اقسام اخرى.

إن تجربــة ودرك عوالم الميتافيزيقا وماوراء العالم المادي، لا يندرج في دائرة درك العقل الكمي والعلم القائم على التجربة الحسـية، بل وقبل أن يكون مرتبطا بالوعي المعقول والمسـتدل الفلسـفي، فانه قابل للدرك والتحديد حسـب النسـبة والعلاقة القلبية والفطرية العامة للبشـرية بذلك العالـم، عـن طريق العزيمة والتجربــة الباطنية وتـذكار **النفس الواعية** المسـتترة في ماوراء العالم المادي، بحيث أن جميع الأعمال الانسـانية منذ أقدم الأزمنة وحتى الإنطباعات الأسطورية للأمم القديمة تظهر هذا المعنى.

إن ما أبلغه الأنبياء بوصفهم رسـل العوالم الغيبة، للبشرية، هو التبيان **التفضيلي والحقيقي والمبرهن والمنتظم** للإنطباعات التي اكتسبها الانسان فـي خلوتــه وفي تجربة الحياة الطويلة في الوجود. وبناء على ذلك، فانه يتـم وصف مصـادر وكتب الانبياء بـ**الذكر**. التذكيـر الموجود كل مجال دركه وكشفه في **النفس الواعية** والفطرة الانسانية.

إن بنـاء خلقـة الانسـان على أسـاس **الفطـرة** مثلما تشـير إليه الآيات القرآنية، مؤشـر على النسـبة القائمة بين العالم المادي والهيكل الجسمي ومصدر الغيب وغير المادي. وإن لم تكن هذه النسـبة بين العالم المادي والعوالم الباطنية، غير قائمة، فان تداخل وتزاحم سـنن العالمين، تؤدي بصـورة طبيعية إلى الإخـلال والتبعثر وبالتالي اندلاع الأزمة في جميع الصعد.

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ؛[1]

إن القدرة والقوة لتبيان ودرك هذه المفاهيم التي **تتفوق** كلها على القدرات الجسدية البحتة والعلاقات البسيطة للعالم الملموس، تشكل بحد ذاتها برهانا على النسبة والعلاقة القائمة بين هذين العالمين، مثلما أن التبيان المشترك للأمم المختلفة حول تلك العوالم المعقولة والمعنوية وبرغم المسافة والبعد المكاني والزماني، يحكي التواصل والترابط الخفي لكل أبناء البشرية على صعيد الأرض والأزمنة مع عالم ما وراء العالم المادي أيضا.

إن عموم الأعمال الخالدة للأزمنة السالفة وحتى هذا العصر بين عامة الأمم التي تقطن الأرض، مؤشر على الإنتماء والتجربة والرغبة الجامحة والدائمة للانسان تجاه العوالم ماوراء المادية والطبيعة، لدرجة أن أيا من إنجازات وخبرات العصر الحديث والجديد لم تقدر هي الاخرى على التغطية على هذه الرغبة الباطنية للانسان ناهيك عن دحضها وإنكارها.

إن بيان ووصف الكتب السماوية، يظهر أكثر الصور نزاهة ونظاما عن تلك العوالم والعلاقة بين العالمين المادي والغيبي وتعهد وعلاقة الانسان بها. لذلك فان هذه الإنطباعات الدينية تنطوي بحد ذاتها على نوع من الضمان القلبي والطمأنينة النفسية، بحيث أن هذه الطمأنينة

---

١. سورة الروم، الآية ٣٠

تدعو الطبيعة الباحثة والمتفحصة غير المستقرة إلى صمت مُرضٍ وفي وقت الإصغاء إلى الأقوال المتقنة للانبياء.

إن مجمل الخبرات غير المادية للبشرية (بما فيها الإنطباعات الأسطورية) والتعاليم القديمة للأمم وبالتالي توجيهات المعلمين السماويين، تميط اللثام عن وجود السنن الثابتة والمنتظمة وذات المغزى في ساحة العوالم غير المادية وعلاقتها بالسنن الجارية بين الظواهر المادية للعالم.

إن **وجود هذه العلاقة** والقناعة القلبية بشأنها يدفع بعامة معلمي الأمم للسعي من أجل نقل التعاليم والتجارب الى سائر الأجيال وتكريمها.

إن دراسة عامة الأعمال الثقافية القديمة للأمم، تظهر بان هذه الأعمال زاخرة بهذا المعنى، بل أن إنطباع الانسان عن كل ذلك، يبدي **محتوى وروح** الأعمال وديمومة حياة الأمم القديمة وسبب بقائها، وإلا، فان كافة الموضوعات البسيطة والحوادث الروتينية والعادية، تزول بطرفة عين. إن عمق الإنطباعات، هو وراء عمق مضامين ومحتوى الأعمال الثقافية وطول حياتها وخلودها، لا الصورة الظاهرة للأعمال. لدرجة أن البعض اعتبروا أحيانا ومن منطلق السذاجة إن وجود أوجه الإشتراك المعنوي بين الأعمال الثقافية للأمم القديمة (الايرانية والهندية واليونانية و...) هي حصيلة تقليد وإستنساخ أو انتقال الاعمال على يد التجار والسياح و...، في حين أن هذه العوامل وقبل أن تكون وراء بروز وخلق الأعمال

الثقافية بمضامين موحدة، فان اشتراك البشرية بحرصها وتعلقها بالعوالم الباطنيــة وتجاربهــا غير الماديــة و **النفس الواعية** أما المشــتركة بينها، كانت وراء ظهور الإنطباعات المشتركة. إن أوجه اشتراك بعض معاني ومضامين الأعمال الأسطورية والملحمية للأمم بما فيها «الشاهنامة» و «مهابهارات» و «الإيلياذة والأوديســة» تؤكد هذا الشئ. إن التباين بين إنطباعات الأمم المحلية للقارة الأمريكية (الهنود الحمر) وســائر الأمم، بما فيها الهنود والايرانيين هو في سطح الإنطباعات لا عمقها، بحيث أن الإنطباعات السائدة في الأعمال الأصيلة لا تناقض أحدها الاخر فحسب بل تذكر بنوع من الوشائج والتناسب.

إن دراســة الأعمــال الثقافية المتأتية من الرياضات النفســية والرهبنة وحتى اللاجئين إلى الخلوة من الهنود الحمر، تظهر بان نتيجة إنطباعها تشــتمل علــى جزء صغيــر من التعاليــم والتجــارب القلبيــة والإيمانية لأصحاب قبيلة الدين والعرفان الاسلامي.

إن تعليــم وتجربة الأنبياء التي هي حصيلة تعليم المعلم الغيبي بشــكل مباشــر، تمثل أكثــر الإنطباعــات والتعاليم أصالة وكمــالا وحقيقة لدى البشرية.

إن المصدر الموحد لإنطباع الأنبياء وما تذكره فطرة الانســان، يسهم فــي تناغم ومؤانســة الإنطباعات وكونها مهدئة للانســان، شــريطة ألا يتدخل عامل خارجي لتحريــف وتغيير توجيهات وكتب الانبياء، وربما

أن تبيان الكتاب السماوي ل «الفطرة، حيث يقول سبحانه وتعالى «**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**» أو رواية النبي الأكرم(ص) حيث قال:

«**كُلّ مَولـود يُولـد عَلـى الفِطْرة.**»[1] تبيـن هذه المعنى بـان الدين القيّم[2] مبني على الإنطباعات الفطرية التي أودعت في **النفس الواعية** للانسـان إختصـارا لا تفصيـلا. ولذلك، فـان الفطرة في الظـروف الطبيعية، لا تنطـوي علـى إكراه في قبـول الدين، بحيث إن عرض هـذا الدين على الانسان فانه سيقبله من دون إي إكراه.

ونشهد أحيانا في أعمال متحدثين ألمان وبريطانيين ومكسيكيين وهنود وعرب وايرانيين، أبياتا من الشـعر، مشـتركة من حيث المعنى والدرك والوجـود وحضور الانسـان ومسـتقبل الحيـاة وحصيلـة الأعمال وما شابهها. وهي مفاهيم تتميز عن بعضها عن بعض فقط بواسطة المفردات وإيقاع الكلام. وهذا الإشـتراك هو ليس حصيلة اشـتراك الماء والتراب والدم والعرق، بل إنعكاس **طير النفس** و **الفطرة** المستترة في الجسد.

إن طير النفس ومن دون أن يكون بحاجة إلى ظرف الزمان والمكان، يغادر في أول فرصة قفص الجسم. ويقوم بسير وسفر في العوالم ويقدم نتيجـة التجربة والدرك في اطار منظومة شـعرية ومثـل وقصة، أكان يطير من بيت عربي أو بيت ناطق بالأردية.

وثمة أوجه اشتراك كبيرة في المعنى بين ما جاء به **غوته** في «الديوان

---

١. مختصر بصائر الدرجات، ص ٤٠٠
٢. «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ»، سورة الروم، الآية ٤٣

الشـرقي» وسـائر أعماله وما قدمه **شكسـبير** في أعمالـه الدرامية على لسـان أبطاله وما ورد في أشـعار **مولوي** و **حافظ**، وبلا شـك فان رفعت الحجـب مـن على عين قلب حافـظ لكانت ترفع عن عيـن قلب غوته و شكسـبير، فكانـا يقـولان ويكتبان مثلمـا قاله وكتبه حافظ و **سـعدي**. إن عامة الإنطباعات الشعرية هي **جميلة** و **شاملة** و **مُجرّبة** و**أبدية** و **مرجوة** للجميـع. إن عين الشـاعر تحـدق بالجمال والعالم الجميل والشـاعري، وتنظـر من على مرتفع من خارج ظـرف الزمان والمكان، إلى الأمور الثابتـة والحقائـق الثابتة والقائمة في الوجـود. وبناء على ذلك، فان هذه الحقائـق تغطـي جميع أبناء البشـرية خـارج أي نوع مـن الإنتماء إلى الزمان والمكان والجغرافيا، بحيث أنها تمت تجربتها للجميع في مختلف العصور وسـتبقى خالدة وسـيتقبلها الجميع بسـهولة وراحة ويتحاشون عنادها.

إن القسم الأكبر من هذه الإنطباعات، يزيح الستار عن السنن الجارية بيـن **العالمين** المـادي والمعنوي، بحيث أنها تؤيد سـريان وجريان هذه السـنن القابلة للكشف والمجربة والشاملة والثابتة والأبدية في كل الكون والعوالم الجلية والخفية.

إن الأعمـال الأدبيـة الضخمة للأمـم و **الكلام المأثـور** و **نصائح الكبار** و **الأمثـال** و **الأدب العامـي** الموجـود لدى الأمم والشـعوب، عامر بهكذا إدراك، وهـو يقـدم إنطباعا مشـتركا لابناء البشـرية رغـم التباين بين

الأشـكال والصور. إن هذه **المضامين والمفاهيم والدرك المشـترك** تؤشر إلى **السـنن المعقولـة والثابتة** من جهة، وتحكي **اشـتراك الوجهة والمعنى** من جهة أخرى وكونها **موحدة** في جميع أسـطح الوجود والكون، فضلا عن أنها تنطوي على **السمو والجمال** والروح السائدة في الخلقة والوجود.

ويمكن مشاهدة عبارات وأمثال، مثل:

إعمل أنت حسنا وطيبة وارمها في نهر دجلة

فان الله سيعوض عنك في الصحراء

أو:

من أي يد تعطي فانك ستكسب من اليد ذاتها

لدى جميع الأمم مع قليل من التغيير والتعديل في الفاظها، وهذه تظهر السـنن الثابتة، لكنها كامنة في الوجود، وتزيح السـتار عن السـرّ الخفي لجميع حركات وظواهر العوالم الملكية والملكوتية.

١٠. السنن أودعت في جوهر العالم «تكوينا»!

لقد أودعت جملة السنن في صلب الوجود والكون، بعبارة أخرى، فان لم تكن هذه السـنن، لما كان ثمة عالم للتجربة وللرؤية والسير. وأشرت فـي الأمثلة السـابقة، إلى أن ما يقف وراء ظهـور كل من الظواهر في الوجود، هي السـنن هذه التي أدت في ظرف وسعة وقدر معين، للنشوء والنمو. وفي الحقيقة، فانها خفية من فرط الظهور، بحيث أن هذه تضفي

معنـــى على الماء وصفاته، ومعنى علـــى التراب وصفاته، وفي وضعية مركبة كذلك، تفضي إلى بروز مظاهر لطف وقهر الباري تعالى. إن أيا من هذه الظواهر، لا ســبيل أمامها لمغادرة الموضع المســتقرة فيه. وإن خرجت من مدارها، فســتتحول إلى شئ اخر. لذلك، فان مجمل الوجود، رهــن بهذه الســنن، بحيث أنها مرتبطة بها وتكتســي معنى بواســطتها. لذلك فان السنن، ليست منفصلة عن الظواهر والروح السائدة في مجمل الكــون. كما أن درجــات ظهورها وبروزها مختلفــة، بحيث أن الجميع يملكون مراتب في الوجود. مراتب في الصفات مثل الصعب والأصعب والأكثر صعوبة، مثل اللطيف والألطف والأكثر لطافة... .

وهذه المراتب تستمر إلى ما لا نهاية، بينما تسهم في منظومة الوجود وفي نســيج متناســق، في دوام وبقاء واســتمرار الحياة وظهور وبروز المظاهر والصفات المختلفة للظواهر.

إن الأجزاء الصغيرة وحتى غير المرئية، بما فيها الذرات والجزئيات، تحمــل في حد ذاتهــا هذه القواعــد الثابتة، وهذه القواعــد، توفر إمكانية ظهور الأقطاب ودوران الذرات والتصاق الجزئيات والمواد. وأي منها غيــر قادر علــى الحياد عن مكانتها ومقامها، إلا فــي حالة دخول عامل وعنصر اخر على الخط. لذلك فان إتباع القواعد والســنن، هو كامن في ذات وصلب كافة المــواد والظواهر. وكأنها مكلفة بالبقاء في موضعها. وإن لــم يكن الأمر كذلك، فان صورة وســيرة المــاء لكانت تتغير تلقائيا

وفي كل لحظة. وهذا الأمر الثابت، يتسبب ببروز مواد وديمومة محددة للمواد وصفات المواد وشكل المواد و... . وهذا الحكم الثابت هو **الجبر المطلوب والمنشود**.

وإن كان مقررا بالضرورة، إن يتحول شئ ما بكل صفاته إلى **ماء** و **حجر** و **شمس** و **سمكة** و...، فجيب أن تكون مكوناته ونوعية تركيبته وارتباط أجزائه، بهذه الصورة التي هي قائمة وأن تبقى على نفس الصورة. وفيما عدا ذلك، فلن يكون هناك شئ وظاهرة من هذا القبيل. وهذا الإلزام والجبر، ضروري للإيجاد و **الظهور**. وأي شخص اخر وفي أي مكان اخر، إن أراد أن يمتلك جميع المواصفات القائمة في الحجر أو الرخام أو الصدف، فانه سيتبع بالضرورة هذا النموذج. وهذا **الجبر المنشود** ضروري للإيجاد. والانسان أثناء إنتاج الأشياء يضع المواد المختلفة في سلسلة من القياسات والأحجام المحددة، وينتزع من الأجزاء إمكانية التناقل لكي تحدث أشياء ثابتة وبصفات ووظائف ثابتة وتتحول في خدمة الانسان. وهذا ضروري للإنتاج والتصنيع. وفي مساحة أوسع، فان امتلاك الأرض وامتلاك الشمس وامتلاك المنظومة الشمسية إلى اخره، رهن بهذه السنن المندرجة في كل من الكواكب، بمفردها ومجموعة الكواكب والنجوم معا.

وبعبارة أبسط، فان أيا من المركبات، بمفردها (مثل الأكسجين والهيدروجين في الماء ونوع تركيبها أي H_2O إن استقرت في الوقت

المناسـب بجانب بعضها البعض، لا بالتساوي والتكافؤ، بل بحجم وسعة محـددة فانها تبـرز **نقطة العدل**. وفي نقطة العـدل، يظهر **الماء**. لكن إن افترضنـا التركيبـة ب H2 و O2 فلن يكون لدينا **مـاء**، مثلما أن SO4H2 يؤدي في نقطة العدل إلى ظهور حمض السـولفوريك و Hcl إلى حمض الكلريدريـك. إن هذه المواد والظواهر، هـي بالجملة حصيلة **نقطة عدل** مكوناتها وعناصرها.

وهـذا **الجبر المنشـود** ينطـوي في حد ذاته على **نقطـة العدل**. وهذا هو **التقدير المعين والقدر المحدد** لجميع ظواهر الوجود.

إن **المنظومـة الشمسـية** هي حصيلة نقطة عدل الأجـزاء ونقطة عدل النجوم والكواكب وبالتالي نقطة عدل المنظومة.

إن الوجـود هو الحصيلة النهائية لـ **العدل** العام ويبقى رهن بهذا **العدل**، مـن دون أن يتسـبب بازمة. بعبارة أبسـط، فـان **العـدل والعدالة** كامنان وموجودان تكوينا فـي مجمل الأجزاء بصورة منفردة وتركيبة الأجزاء بصورة مجتمعة، وإن حطمتم **نقطة العدل** هذه، فان الأجزاء ستتبعثر.

إن **السنن** السائدة في الوجود، رهن بـ«**نقطة عدل**» معينة ومحددة وقابلة للتعريـف وقابلة للتجربـة وحكيمة. فخواص الظواهـر ونظام الظواهر والهدوء والدوام اللذان يتحكمان بالظواهر، يشرفان على **الحكمة** و **الروح الواعيـة** للوجود. ولا يمكن تقبل واسـتخدام الحكمة الجزئية الواردة بين الأجزاء والتي لا يمكن إحصاؤها، ناهيك عن إنكار **الحكمة العامة** السائدة

في مجمل الكون.

١١. عندما تكون الحكم الجزئية القابلة للكشف بين الظواهر مشرفة على «الوجهة والقصد»، لا يمكن تصور بان مجمل الوجود الذي يتشكل هو من جميع هذه الأجزاء غير القابلة للعدّ، يفتقد إلى الحكمة العامة والوجهة النهائية المرجوة!

إن دركنا الجزئي والناقص وعدم إشرافنا على مجمل نظام الكون، لا يمكن أن يعكس غياب هذه الحكمة العامة النابعة عن **الحكمة والعدالة** المطلقة لبارئ الكون والوجود.

وهذا العجز في الدرك، يعكس طاقتنا وقدراتنا الضئيلة والأدوات اللازمة لهذه المعرفة.

تصوروا، أن ثمة مراقبا يقف بجانب الشاطئ، يرصد تلاطم واهتياج أمواج البحر. إن نصيبه من البحر هو رؤية المشاهد الجميلة وتلمس النسيم العليل والسباحة في المياه الضحلة. ولا يمكن له إنكار ما هو موجود تحت هذا السطح الجميل. إن درك السطح السفلي، بحاجة إلى قدرات في الغطس والغوص وأدوات الغوص وعزيمة الغوص في البحر.

إن الدرك المعمق لكل من الطبقات، بحاجة إلى **قدرات ملائمة وأدوات ملائمة**، وإن كانت الأدوات البسيطة والبدائية، تساعد الرجل الذي يتمشى

على شـاطئ البحـر وصيد الأسـماك والبحر، لكنه ومن أجل اكتشـاف الطبقات السـفلى للبحر بحاجة إلى أداة أخرى، مثلما أن الأداة البسـيطة للحواس الظاهرة غير كافية لدرك العوالم الموجودة والسـامية والحقيقية الخفية تحت هذه الطبقات السطحية والظاهرة، وكيف يمكن اعتبار **عجز و ضعف** الانسـان برهانا كافيا على الشـك أو دحض الحقائق؟ إن تناسق السـلوك وتناغم الجهات والإتجاه الموحد للتيارات، دليل على الإشتراك في نقطة الشروع والمسار والوجهة.

إفترضوا، أنكم في سهل وسـيع تنظرون وترصدون قفزات مجموعة من الخيول التي تمر بسـرعة من أمام ناظريكـم. وتتجه أبصاركم على الفور بإتجاه نقطة شـروع وانطلاقة الخيـول، بحيث أن مرّ حصان من هذه الخيول، فانكم تنتظرون لفترة ربما عبر حصان اخر من تلك النقطة. إن مشـاهدة الحركة السـريعة والجماعية بإتجاه نقطـة مجهولة يذكّركم بـوحـدة **المقصـود**، أكان هذا المقصود، **الهرب** من مخالب أسـد هصور، أو الوصـول إلـى نبع ماء يشـفي غليل هـذه الخيول. إن **التكـرار** يؤدي إلى تشـكل فرضية موحدة للحركة الجماعية. وسواء كانت هذه النظرية تعكـس **نقطـة البداية** أو **نقطة النهايـة**، فانها تحكي التنسـيق في الحركة والتماشي والتناغم في قبول التأثير والدافع.

والان إن حدّق هذا المشـاهد للخيول، نحو السـماء ويشاهد عددا كبيرا من الطيور وهي تتجه من الشـرق إلى الغرب، فانه سـيعمم على الفور

النتيجة السابقة المتحصلة من مشاهدة الخيول. فقد بدأت الطيور، الطيران من نقطة نائية لكنها واحدة وهي تتجه الان معا نحو نقطة اخرى، لكنها موحدة ومشتركة. إن **التكرار** يؤدي إلى **التعميم** والإستنتاج أيضا، حتى وإن كان المراقب لا يملك أي اشراف ومعرفة عن البداية ووجهة الخيول والطيور ودافعها (الهرب من الصياد أو الوصول إلى الماء والطعام).

إن **التنسيق والتناغم والتماشي والتكرار والتعدد** يعكس دائما الوحدة والإشتراك في البداية أو النهاية. ويجب الأخذ بعين الإعتبار بان: قوة الإدراك وبناء الفرضية والإستنتاج والتعميم، كامنة بالجملة في الانسان وخاصة بالانسان، لانه هو الكائن الوحيد القادر على إنجاز هذا العمل الصعب والمعقد.

وهذه القدرات تساعد المرء على اكتشاف نبع ماء في الصحراء مترامية الأطراف أو رصد إتجاه في البحر، بواسطة الكواكب، في حين أن السنن الثابتة السائدة في الأرض والسماء تساعده في عملية بناء الفرضية والإستنتاج والتعميم. إن الانسان وفي وقت مشاهدة كل هذا الجمال وسلطة القانون، يجد بان **السنن** ناتجة عن الحكمة وتحكي الحكمة وتذكر بالحكمة.

وقد يصل ملاح بعد نجاته من الأمواج العاتية في عرض البحر، إلى هذه النتيجة من أن: حكمة وجود الكواكب والأفلاك تكمن في نجاة الملاح

التائه من عاصفة البحر الهائج. ورغم أن هذا الإنطباع البسيط يساعده على تقبل وجود حكمة في وجود الكواكب، لكنها لا تعكس الحكمة العامة والنهائية من وجود الكواكب والأفلاك.

ويقر الملاح بحسب دركه البسيط، بهذه الدرجة والسطح من حكمة خلق الافلاك، وإن اكتسب هذا الملاح بعد فترة معطيات حول أثر الكواكب والافلاك على الأرض والجزر والمد في البحر ونمو النباتات، فهل سيدحض إنطباعه السابق؟

والجواب كلا. إنه يكمل انطباعه ويقر بوجود **التعدد** في الحكمة واتساع نطاقها وعمقها، ويتقبل بلا شك هذه الفرضية بانه قد تكون هناك حكمة اكبر لا يعرف هو شيئا عنها. إن ظهور وكشف كل حكمة بين الظواهر والتي تندرج في خضم ورزم السنن، يسهم في توجيه الانسان نحو الحكمة المتعالية والدافع الأقوى لدى **خالق و ناظم** الكون. وفي الحقيقة فان كشف طبقة من المصادر أو خاصية ظاهرة لا تعكس نهاية الإنطباعات وكون ذلك الإستنتاج يشكل غاية نهائية. وكلما اتسع ظرف وسعة درك الانسان والتي تمتد إلى ما لا نهاية، فانه تتوفر إمكانية درك حكمة أسمى. ولذلك فان **الانسان** لا يستطيع من خلال الرؤية الاولى للظواهر وخواصها إصدارحكم نهائي بشأنها. إن الحكم النهائي رهن بالوعي. وكلما كانت الطبقات أكثر اتساعا واعمق، ستكون ثمة ضرورة لامتلاك **القدرة و الأسباب** الأكثر. إن ما تم الحديث عن جملة **الكون والسنن والحكمة** أصبح

فــي ظل حكيم على الإطلاق، نوع من **الهـدوء الأثيري والتوالد والحركة والتقدم والإرتقاء** بين جميع الأجزاء الجلية والخفية المنتشــرة في الكون، بحيث أنه في ظل كل هذا وعن طريق **العدالة** فان كلا من الكائنات يعكس بروز كماله في الســير التكويني والتدريجي. وفي الحقيقة فان أي كائن، ينال **عدله** الذي يســتحقه، ويتســلم عدله الذي يتناســب مع ظرفه وسعته ويظهر في حد ذاته وجها من الكمال.

١٢. الكمال الجزئي، يعكس الكمال الكلي!

يقوم فلاح ببث حبات القمح في مزرعة، و يرويها ويعتني بها و ينتظر ويرصــد نمــو ونضج الحبات. إن حبة القمح تحــوي نصيبا من الموهبة التي تتحول في الظروف المناسبة من الطاقة الكامنة الى الطاقة الفعلية، وتتفتح قشــورها، وتخرج من الأرض وتنمو وتعطي ثمارها. إن ســنابل القمح هي ثمرة الحبة وثمرة جهود الفلاح.

إن الفلاح والبستاني ومربي المواشي وامثالهم، يعرفون وجود الموهبة فــي الحبــات والنباتات والمواشــي، مثلمــا أنهم يعرفون الشــرط اللازم لظهــور تلك المواهب، أي الظروف المناســبة. وهــذا هو حق الحبة أن تظهر وحق الزهرة أن تتفتق!

إن البراعــم الربيعيــة، هي مظهر جزء من كمال حبة وشــجرة التفاح فحســب، لكنها لا تعكس كل كمال التفاحة، ومثلما أن التفاحة تمثل جزء

من كمال برعمة التفاح وحبتها، فانها لا تعكس مجمل كمال التفاح!

وعندمـا يظهر مجمل كمال التفاح، فان التفاحة تصل إلى **مقام النضج**. والوصـول إلى هذا المقام، هو حـق التفاح وعدل التفاح الذي يناله. لكن أن حالت يد انسـان جشـع، بلوغ البرعمة هذا المقام، فان فاكهة التفاحة ستسـقط وهي فجة وغير ناضجة، وتموت من دون أن تثمر. وعندما لا تثمر ولا تجرب كمالها، فانها لم تضطلع بدورها كاملا. وفي الحقيقة فان الحكمة الرئيسية والنهائية لخلق التفاح وحبة التفاح لم تبرز.

وثمـة غزالـة صغيرة تمرح وتسـرح فـي السـهل. والغزالة تضطلع حسب تلك **السنة والحكمة** في الوجود، بدور ولها مكان في دورة الوجود الكبـرى. مثلها مثل سـائر الكائنات، بما فيها الثعبـان والعقرب حتى إن كنا نتعذب من لسـعاتها. وصياد يجلس في كمين، ويطلق طلقة ويسـقط الغزالـة على الأرض. وتتقلب الغزالة الصغيرة على الأرض وهي غير ناضجة، وتعجز عن مواصلة دورها. ويتم صيدها قبل ان تثمر.

إن وصول الحبة إلى مقام الإثمار تلبي الغاية الرئيسـية للفلاح، بحيث أن السـلات المليئـة بالتفاحات الحمراء الناضجـة، تلبي غاية ومطلوب التفاح والفلاح.

وفـي دورة الحياة، فان التفاحة التي بلغت مقام الإثمار، حمراء وحلوة وكبيـرة، تصبـح بهيجة وهي بيـد انسـان ويضعها في فمه، وتسـتمتع وتجرب مرتبة اخرى في السـير الإكمالـي وتتحول إلى جزء من هيكل

كائـن أفضل من ذاته مثل الانسـان، في حين أن التفاحة الفجة، تسـحق تحت أقدام الدواب أو أن تتيبس.

وعلـى الرغـم من أن هذه المرحلـة تبرز نوعا من الكمـال في دورة الوجود أو أن تسـاهم في **حفظ** التوازن. لذلك فان لم يكن هناك أي عامل يعيـق الحركة في الطريـق وتتوفر الظروف اللازمـة لظهور واكتمال المواهب، فان مجمل الظواهر والكائنات، تظهر جميع كمالاتها.

إن مظهـر الكمـال والجمال يؤكد وجـود الكمال والجمـال في الكون والوجـود، كمـا أن تكرار مظهر الجمال، يؤكد اسـتمرار جريان ودوام الكمـال والجمـال فـي الوجود والكـون، وإن مظهر الجمـال هو إقرار بحضور خالق الجمال وبارز الجمال في الكون.

إن الطبيعة وبحسب البنية التي أودعت فيها، تتسبب عن طريق الحكمة ببروز نوع من **التوازن** في دورة الحياة و **ديمومة** الحياة و **ظهور الكمالات** (المسـتترة بيـن الظواهـر). وبناء علـى ذلك، فان الريـاح والعواصف أحيانـا، والأمطـار تارة، والظـلام والليل تارة أخـرى والنور والضياء والنهار أحيانا أخرى والبرد والشتاء تارة، والحر والصيف تارة أخرى، تضع يدا بيد لإبراز الوجوه الاخرى من السـنن الثابتة والمؤثرة، وتسهم في استمرار هذه الدورة.

وفـي هذا الخضـم، فان مجمـل الوجود ومـن خلال إظهـار الجمال والكمال، يتجاوز السير الإكمالي حتى ظهور اخر المواهب الكامنة.

وطالمـا لا يحول **عامل مشـاكس ومعرقل** دون وصـول كائن إلى مقام **الإثمار** ألا وهو **ظهور جميع المواهب الجمالية والكمالية للكائنات**، فان هذا السير، سيستمر.

تصـوروا مزرعة ما، وفي فصل النمو والتكاثر – حيث ظهور جمال الزهور والحبات – يصل سـائق عربة فجأة، ويمضي بالعربة في داخل المزرعة ويسـحق كل الزهور الحمراء والبيضـاء والصفراء ويمضي بسـرعة. وتتوقف الزهور الذابلة والمسـحوقة عن سيرها. وهذا العامل المعرقـل، يمنـع ظهـور كمال الحبـات والزهور، لكن فـي وقت اخر، يعمل المزارع، منجله في السـنابل والنبتات، فالمزارع يحصد السـنابل لا من اجل سـحق الحبات بل بهدف حصـاد الحبات الناضجة. وتحضر الحبـات الناضجة فـي اخر نقطة من ظهور الكمال، على مائدة المزارع والبسـتاني. إن **الحكمـة** المتعاليـة والأنبـل تحصد في مسـار الزراعة، الحبات من الأرض.

وفي وقت اخر، تسـتحدث **الرياح والأمطار** عائقا امام السـير الإكمالي للحبات، وفي الظاهر فان هذه الرياح والأمطار تنفذ مهمة سائق العربة، لكن إن فتحت عين القلب، سـيُعرف بان هذا الحرث الجزئي، يسـهم في جهوزية الأرض والسـهل والمزرعة لإنتاج أضخم وظهور كمال أوسع وأعمق في ساحة الوجود.

إن البـدء من النقطة الدنيا وصـولا إلى **نقطة الذروة** و **الكمال** التي هي

مقـام الإثمـار، ينطبق على جميع المخلوقات في هيئتين **فردية** و **جماعية**. ومـذاك فصاعـدا، فـان كل منها وحسـب **القدرة و السـعة** تبدأ سـيرها التنازلـي، إلا إذا انخرطت في أمر أسـمى. إن **نقطـة الذروة** هذه وزمن الوصول إليها، متناسـبة دائما مع **قوة وسـعة ودور ذلك الكائن** في دورة الوجود. وعندما يكون من الضروري أن تثمر شجرة تفاح، فان ذلك لن يكـون موحدا بالضرورة مع زمن إثمار القمح أو الأرز، مثلما أن زمان وصول المعادن إلى نقطة الغليان والإنصهار مختلف أيضا.

وإن تصرف الجميع في مسـار القوانين التكوينية، فان أزمة لن تحدث. إن الأنبياء هم عامل اسـتقرار الانسان في المسـار العام للسمو وتجربة الكمال. فالإنسان هو من ينتج أزمة.

وعلـى الرغم مـن أن زمن ظهور هذه الواقعة فـي أي من الظواهر، رهن بالشـروط والمقدمات والمتطلبات الخاصة، لكن هذا الظهور جار ولا يتكـرر وحتمي، ولا أحد يسـتطيع منع حدوثـه، إلا إذا تدخل عامل وعنصر في **مكانة** تلك الظاهرة ويخرجها من المدار الذي تدور فيه.

وإذا كان المـاء يغلـي في الظـروف العادية عنـد ١٠٠ درجة مئوية، فان الغليان سيكون حتميا، لكن إضافة مادة اخرى يمكن أن تخرج ذلك المـاء المحدد من مداره وتضعه في مدار جديد، يسـتوعب حسـب تلك الإضافات، مواهب جديدة، وهذه الموهبة الجديدة، تغير نقطة الغليان من ١٠٠ درجة إلى ١٥٠ درجة.

وهـذا التيـار يظهر نفسـه في العلاقـات الانسـانية. إن الإختلاف في شـكل وكيفية بروز سـنة ما، يتوقف على موقع الكائنـات والنتائج التي يجـب أن تتحصل بالضرورة، لكنهـا قاعدة ثابتة ولا تتغير. وتوجد لدى انسـانين (رجل وامراة) قدرة خاصـة على الإنجاب. وهذه القدرة تظهر فـي أول فرصة مناسـبة وعندما تتوفر الظـروف. ويحصل تجاذب بين جنسـين مختلفيـن، وعندما يجتمع عنصران مناسـبان ومتناغمان – في تلك الظروف – فان نطفة تنعقد وتبدأ منذ ذلك الحين مسيرتها الإكمالية.

ويمكـن تصنيف هذه القاعدة، فيمكن تعريـف مثلا ظهور هذه القاعدة وسط الطبيعة والأشياء بـ**قوانين الفيزياء**» والاخرى بـ**قوانين الميتافيزيقا**. وفـي كلا الحالتين، فان المقدمات تؤدي إلـى ظهور التغيرات والحركة والسير ونتائجها الخاصة بها.

وفي كلا السـطحين الفيزيائي والميتافيزيقي، تظهر المقدمات والمواد والتغيرات (التداخل والإمتزاج والإسـتحالة والتزاحم و...) مظهر كائن جديد أو واقعة جديدة.

ذلك الشـئ الـذي يطلق عليه فـي المنطق والفلسـفة، بالعلات الأربع اللازمة (الفاعلية والمادية والغائية والصورية) لتشكيل أمر ما.

وكل من النتائج، تنتج شـكلا جديدا أكان مستسـاغا بالنسبة لنا أو ننفره وننبذه.

إن الوصـول إلـى مقام الإثمـار، هو رغبة مسـتترة وجاريـة وثابتة

ومنشـودة لدة كافة الظواهر الفيزيائيـة والميتافيزيقية، مثلما أن حضور وسـير وسـفر الوجود كله، وكافة الظواهر ،يعكس **الخلقة الذكية**، كما أن توجهاتهـا العامة تعكس وجود **وجهة ذكيـة**، لانه لا يمكن قبول أن تبرز ظاهـرة مـن **خالق حكيم وعالـم** و **خلقة حكيمة وعالمة** تكـون **معلقة وبلا وجهـة ومنفصلة عن نظام عام** لان هذا الكائن والظاهرة، لابد وأن تؤدي إلى بروز الإختلال في مجمل نظام الكون، بل أن هذا الأمر يشكل دليلا علـى وجود نقص في الخالق والموجد، وهذا الأمر، مسـتحيل بالنسـبة للخالق المطلق والحكيم العالم على الإطلاق.

إن هـذه **الرغبـة للكمال** أودعت تكوينـا ومنذ اليـوم الأول للخلقة، في صلب كل من الظواهر. وهؤلاء يقرون بان:

١. وجود الخالق؛

٢. وجود الكمال؛

٣. التبرؤ من العبثية؛

٤. الإستسلام؛

٥. ضرورة نيل الكمال.

إن هذا الإقرار التكويني لا التشـريعي يعنـي **التدين**. وفي الحقيقة فان مجمل المخلوقات وحسـب سـعة وجودها، متدينة وتابعة ومنصهرة في نظام نابع من الكمال ويعكس الكمال والجاري في مسـار الكمال ويسـير ويسلك في ارتباط بفاعل كلي. وهذا ما يُعرّف بان الكون يسير نحو أمر

متعال وكمال **يتبع للدين التكويني**.

الإختيار

إن جملــة المخلوقات رهن بجملة الســنن التــي لا تبديل فيها، من دون أن يكون لها إختيار وإرادة للتوقف والعودة والتغيير في المســار المحدد وتسير قدما باستسلام محض، ماعدا الانسان.

إن الإختيار هو تحفة وإكرام خاص، منح لتاج الخلق والوجود.

والإختيار يعني العيش قرينا للحجر، وبجوار الشــجر والطيران حتى مســتنقع عفن الغراب أو تخطي كل هذا، لالوف المدارات ومرتبة الوف الكائنات عديمة الإختيار، والتي رضخت في مدارات للعيش الثابت؛

والإختيار يعني الإمتحان، والبلاء والإبتلاء لكي يُقدر صاحب الإختيار حق قدره؛

والإختيــار يعني إمكانيــة الإرتقاء من الأدنى إلى الأعلى، من أســفل الســافلين إلى قاب قوســين أو أدنى **لكي يبلغ الانسان مرتبة لا يرى فيه إلا الله؛**

والإختيــار يعني مجال للخلوة ولقاء الحبيب الأزلي، من دون حضور الأغيار؛

والإختيــار يعنــي إمكانية العبــادة الإختياريــة والخضــوع عند عتبة الصديق؛

والإختيار يعني قولبة **الأحكام**، بشأننا وسائر المخلوقات والظواهر؛

والإختيار يعني قدرة قبول كل المسؤوليات والإلتزامات؛

والإختيار يعني إمكانية تجربة مفترقات الطرق، ومفارق الحيرة والتيه؛

والإختيار يعني مجال لممارسة الحكم؛

والإختيار يعني الوجه المميز البارز للانسان وسائر المخلوقات.

ومن هنا وبكل هذه الطاقات الإلهية، لم يكن ممكنا تجاوز الانسان لكل هذه الممرات والتقلبات من دون معلم ومرشد.

إن تفويض الإختيارات والصلاحيات من دون إرسال الأنبياء وانزال الكتب الوحيانية، يعني التخلي عن الانسان في صحراء قاحلة وبلا سلاح وملاذ وأعزل وفاقد لخارطة الطريق.

إن تفويض الصلاحيات وإرسال الأنبياء، يعني **لكي يسود وجه من يمارس الخداع والغش.**

إن إرسال الأنبياء وإنزال الكتب، يعني خارطة لسلوك الطريق في سلام وأمان تامين. إمكانية التماشي والتناغم مع ناموس الخلقة في السير إلى الله.

وكل هذا، أي درك وفهم **إنا لله** ورحلة واعية حتى **إنا اليه راجعون** يعني إمكانية كشف سر التداعي والسقوط، والرقي والكمال والسير في جميع المراتب حتى بلوغ مقام خليفة الله.

سر الإنـهيار

إن قصـــة بلوغ الحضارات والثقافات أوجها ومن ثم تهاويها، وبالأحرى تولدها وموتها، هو أكثر القصص والموضوعات الثقافية التي تشد المرء لسماعها وقرائتها. فالثقافات والحضارات تنشأ بتمهل من نقطة ما، وتنمو وتثمر، ومن ثم على غرار الانسان، تكبر وتشيخ، وتتآكل وتذبل وبعدها يداهما الموت الذي لابد منه ومجئ ورحيل لابد منه شـــأنها بذلك شـــأن جميع الكائنات. وبعد ذلك فصاعدا لن يبقى عنها ســوى ذكريات وعلائم ورموز وصور تفتقد للروح والحركة، ذلك الشئ الذي نعتبره اليوم تراثا ثقافيا ونجعل من المتاحف، مقابر وأضرحة أبدية لها.

ولكل منها قدرها وموهبة محددة للبقاء والحياة. لا أكثر ولا أقل، وكذلك فســحة للبقاء والدوام، إلى أن تعطي مكانها لثقافة وحضارة اخرى، مثل مجمل المجئ والرحيل الجاري في الكون.

وقـال تبارك وتعالى **«قُلْ سِـيرُوا فِـي الْأَرْضِ فانظُرُوا كَيْـفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ.»**[١]

سـيروا وسـافروا لتنظروا البداية والنهاية! لتعرفوا كيف جاءت قبلكم أمم وثقافات وحضارات. ودخلت دائرة المقدرات وأظهرت كل قدراتها وطاقاتها، ومن ثم فُنيت وزالت في الوقت المعلوم.

لقد دُعينا للسير والسفر، لا للتحرك والأكل، بل من أجل النظر.

فالنظر يختلف عن التفرج. ففي التفرج، يمر الانسان على غرار سائح على عجالة على سطح صور الحياة والحضارات ولا يجد مجالا للتأمل والتذكر.

إن كشف العواقب والنظر إلى نهايات ومصائر الثقافات والحضارات غيـر ممكن من دون النظر إلى الباطن والطبقات الخفية لسـيرة وسـنة الأمم والسنن المودعة في الكون والوجود.

ومع السـير والسـفر في الظاهر، لا يتكشف شئ للانسان، ولن تحدث عبرة بالتالي، مثلما أن السياح لا يتحملون أعباء السفر من أجل الإتعاظ وأسـتخلاص الدروس والعبر، وبعد السير والسفر لا تحدث تغيرات في توجهاتهم العامة في الوجود.[٢]

ودعـا الباري تعالى: سـيروا وسـافروا! وانظروا كيـف كانت عاقبة ومصير الأمم والنتائج الحتمية لأعمالهم في الأرض، أقوام مثل قوم لوط

١. سورة النمل، الآية ٦٩
٢. سورة النمل، الآية ٦٩

وقــوم نوح وثمود واخــرون. ونتيجة مثل هذا النظــر يتحصل **الإنطباع**. فالإنطباع يختلف عن المعرفة واكتساب العلم والثقافة. لإن الإنطباع هو حصيلة إزاحة ســتار عن الأمور الظاهرة والكشفية حيث يحصل إزاحة الستار لاحقا.

إن كلا من الأمم والثقافات والحضارات وبسبب الإبتلاء بمجموعة من السنن أو البدع، تصبح جاهزة ومستأهلة للبقاء طويلا أو الموت، وتجئ وترحل وفقا لمجموعة القوانين السارية في الوجود.

وكأن أي من مجموعة الأعمال الفردية والجماعية، لابد وأن تكون لها تبعات ونتائج، إن تم تلقفها، تستخلص منها العبر.

إن تبعات أي عمل، تتمثل في الحكم والقضاء المحتوم والثابت والسائد في الكون، وهي ثابتة كقوانين الفيزياء، تلك التي يمكن فهمها عن طريق النظر والتفكير.

وعندما تتحول السنن أو البدع إلى ثقافة عامة ومقبولة جماعيا، توضح أوج وسقوط وتاريخ ووقت رحيل وموت ثقافات وحضارات الأمم.

إن الجماعة التي تصاب بالظلم في التجارة والمعيشــة، تصبح جاهزة للمــوت، وأمة أخرى على اثــر الإصابة بمرض اللواط المميت مثل قوم لوط أو تصاب بغطرسة وتفرعن نمرود وفرعون.

ووفقا للقوانين والســنن الإلهية الجارية في الكون، فان الماء يغلي في درجــة حرارة محددة على اثــر إرتفاع الحرارة، وأي من الممارســات

بما فيها الفساد الجنسي أو سائر الذنوب، عندما تتحول إلى ثقافة عامة وقومية، تسبب في ظرف زمان محدد، بزوال واندثار ثقافات وحضارات الأمم.

وعندما يرن جرس موت تاريخ وثقافة وحضارة أمة ما، فان أي من الممتلكات والعقارات والأنصار والثروة والسلاح، لا يحول دون تحطمها وانهيارها.

والمؤسف أنه ماعدا أهل الفكر والذكر، فان أيا من الأمم وسكان الميادين الثقافية والحضارية المختلفة طوال التاريخ، لم يتوصلوا إلى درك هذا المعنى. إنهم كانوا ينظرون إلى الممتلكات بالعين الظاهرة وافترضوا أن طول وعرض القصور والحراس كانت عاملا للبقاء. ومن هنا وفي أوج وذروة القوة والتمتع، فانه عندما يحين موعدهم وأجلهم حسب السنن التي لا تبديل فيها، فانهم سيشهدون التداعي والسقوط.

وأليس أن عامة الثقافات والحضارات السالفة، أصبحت جزء من الذاكرة التاريخية للمل والنحل.

إن مجال الوجود، محدود للجميع وهذا المجال، وحسب نوع النظرة الى الوجود والادب والأخلاق العامة المقبولة والسيرة الجلية التي تعتمدها الأمم فيما بينها وعلى الأرض وتتولى حمايتها وحراستها، يصبح طويلا أو قصيرا. وفي الحقيقة فان سر البقاء والموت، لا يتوقف على القوة الظاهرة، بل على عوامل أخرى، وهي مخفية كالسر دائما.

والذين ينظرون ويتعظون، هم القادرون وحدهم على كشف هذا السر.

إن مجموعة أعمال وحصيلة الأعمال السافرة والخفية، تضع كل أمة في مدار معين، ولها حسب السنة الثابتة، وقت وسعة وعمر معين. ولكل مدار ومرتبة، أجل ثابت، يهبط ويتداعى في وقته.[1]

وعندما تنظرون إلى أحوال الناس وما قبلوه على هيئة ثقافة وسيرة وسنة ثابتة والتزموا بشأنه، ستجدون وكأن معاهدة جماعية وغيرمكتوبة دفعت الجميع لحراسة وحماية سيرة عصرهم واسلوبه واعماله واخلاقه العامة. وهذا هو المدار الذي استقرت فيه، بما يشبه يومنا هذا وفي عصرنا هذا.

إن جميع سكان أقاصي العالم، تقبلوا الثقافة والحضارة ونمط الحياة الافرنجية، وتحولت الثقافة والحضارة الغربية إلى أمر مقبول من لدن عامة الشعوب. وجعلوا انفسهم ملتزمين بحماية وحراسة مكوناتها وكأن **عهدا خاصا قد ابرم** كلفهم في مراعاة جميع المكونات.

إن العنصر الذي يميز الثقافات والحضارات، يمكن تحديده في باطن عهدها وميثاقها الجماعي قبل أن يظهر في صورتها الحضارية.

إن التمايز والتباين بين الثقافات والحضارات، يكمن في تباين **عهدها**. وبقية القضايا هي وليدة أو حصيلة هذا العهد وإنجاز أو نقض هذا العهد.

إن الأمم المختلفة، وفي أي مجال ثقافي وحضاري، وبصورة جماعية

---

١. وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ.

ترى أنها مكلفة بحماية عهد يشكل أساس علم كونها ونظرتها العالمية وحتى معرفة العالم.

إن **حضارة وثقافة** أي أمة، تستمد كل قوتها وطاقتها من الفكر والتوجه الخاص نحو العالم والانسان. وفي الحقيقة فان الفكر يمثل روح ثقافة وحضارة الوجه المادي والظاهر للثقافة.

إن الظهور التام لرؤية كلية ومظاهرها الثقافية والحضارية في حقبة خاصة، يعود إلى **التجمع والاهتمام والعهد العام** لأمة ما بتلك الرؤية والإنخراط في جموع أتباعها وخادميها.

وكل حضارة هي حصيلة عمل ويد الذين تربوا ونشأوا في الميدان الثقافي الخاص. والمواد المستخدمة في تصميم وبناء المدينة والحي والبيوت، تتبع المعمار والمصمم والمطور والصانع الذين يقولب كل تلك المواد.

إن الناس يصنعون تمثالهم الخارجي من المواد والمكونات المادية والحضارية ويقولبون أنفسهم، بحيث أنه يمكن من خلال النظر إلى مرآة كل حضارة، مشاهدة الأناس وما يدور في خلدهم.

وكل انسان في أي نقطة وبقعة من هذا العالم الشاسع ومترامي الأطراف، قادر على بناء الوجه الخارجي لإنطباعاته بمدد المواد المادية ، لكن الظهور الواسع النطاق للصورة العامة والجماعية رهن بالعهد الجماعي، أي أن اتساع نطاق ثقافة ما في حقبة ما والتنشئة العامة

للجماهير على امتداد تلك الثقافة، تستحدث وتعمل على ظهور حضارة محددة ومعينة على نطاق واسع. وهذه الشمولية الثقافية والحضارية هي بحاجة الى جريان وسريان انطباع كلي عن العالم والانسان في المجتمع والجماعة التي ساهمت في ابداع تلك الثقافة والحضارة والترويج لها.

وفي عصرنا وزهاء نحو أربعمائة عام، فان بسط المذهب الانساني للمعلمين الغربيين وفلاسفتهم وإعراضهم بشكل كلي عن النشأة الدينية المسيحية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، تسبب بغلبة الثقافة التي استمدت جل قوتها وقدرتها من فكر ونظرة المذهب الانساني تجاه العالم. الثقافة التي قامت بحد ذاتها بتنشئة أناس قامت الحضارة الغربية الحديثة على أكتافهم.

إن غلبة هذه الحقبة التاريخية، لم تفسح المجال لسائر التوجهات والثقافات والمتبقي من العناصر الحضارية للأمم والشعوب. إن الإقبال العام والغلبة الثقافية والحضارية حالت بوصفها حاجزا وعائقا دون قيام سائر المجالات الثقافية والحضارية.

والثقافات والحضارات تتفتق كالبراعم، وتنمو. وتورّق وتثمر. وفي الحقيقة كل منها له قدره الخاص به ويسير في نطاقه.

وبالضبط، عندما يتم تقدير سقوط وزوال الأجل المقدر لثقافة وحضارة ما، فان برعمة ثقافة وحضارة أخرى ستنمو وتظهر على هامش الحضارة السابقة بصمت وسكوت.

وهـل نظرتـم يوما إلى ورقة خضراء صغيرة تبرز في ذروة تسـاقط الثلوج والعواصف الهوجاء، من بين حبات الثلج؟

وهـذه الورقـة الصغيرة، تـدق جرس مـوت الشـتاء وولادة الربيع. ويتطلب الامر قليلا من الصبر لكي ينحسـر الطوفان والعاصفة والثلوج في زحمة وسلطة الشتاء، ويعطي مكانه لمملكة الربيع.

والفرص مثلها مثل هذه البراعم الخضراء، تتألق كالنجوم السـاطعة، وعندمـا يبزغ نجم السـعد، لتنمـو ثقافة وحضارة ودولة وتظر نفسـها. وكل المجئ والرحيل مؤشـر على التفتق والذبول، إنفراج حظ وانغلاق حظ اخر. ولادة وموت على التوالي. دولة تأتي بعد دولة وحسـبما يقول سعدي الشيرازي:

إن الملوك في هذا العالم يصفطون في الدور

. و الان حيث دورك أيها السلطان، أحكم بالعدل

وعندمـا يأفل نجـم دولة، وعندما يحين وقت الرحيل، لا يفرق إن كان المـرء فرعونا أو نمرودا أو نرونا أو اسـكندرا أو ذو القرنين، فالجميع يغيبون كالشهاب.

فالنظر يجلب العبرة والغفلة تجلب الندم. وطوال تاريخ حياة البشرية، أبرمـت ونقضت عهود مرارا وتكرارا. وكل عهـد عندما يظهر، يزيح سـتارا عن الأعين والقناعة العامة لأناس العصر والزمان، ويبدي أدبهم وثقافتهم العامة. لذلك يمكن على مدى القرون، مشاهدة التاريخ وهو يعيد

نفسه ولا يهم بعدها الفوارق بين الصورة المادية للحياة.

وقال الامام الباقر(ع) «**دولتنا اخر الدول**» أي أن **وقت** وبخت دولة آل‌محمّد لم يحن بعد، أي أن الثقافة الحضارة الكاملة المبنية على الولاية التامة للإمام المبين، لم تظهر بعد.

إن الإنسان يغفل دائما الزمان الباقي والسرمدي ويغرق في الزمان الفاني للدهر والعصر. إن عامة الثقافات والحضارات، وبسبب عدم تواصلها مع البخت الباقي والزمان الباقي والمستدام، كانت معرضة بالضرورة للهلاك والزوال. إن هلاك البشرية فردا فردا وهلاك الأمم والثقافات والحضارات هو أمر حتمي في مسار السنن الإلهية الثابتة. إن موضوع «**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فانٍ**» يشمل كل شئ وكل انسان. إن الفناء والموت لا يقتصران على الانسان والحيوان، بل أن جميع المخلوقات، فانية، وكل ما يتعلق بالزمان الفاني ويندرج في ظرف الزمان، فانه فانٍ لا محالة، ومثلما أن العقل والعشق هما من فئة مخلوقات ماوراء الطبيعة، فان الثقافات هي بالأخرى مخلوقات وتقع حسب النسبة التي تكتسبها في دائرة التقدير والمقدرات الخاصة وتكتسي خاصية الموت أو البقاء.

إن شرط البقاء إلى الأبد، هو الإنتساب التام للزمان السرمدي والباقي، لانه «**هو الباقي**» وحده وكل ما ينتسب إلى اسم **الحيّ** و **الباقي**. وكلما كانت النسبة أكبر كلما كان البقاء أكثر.

وربمـا لهذا السـبب قال الله تعالى «**كُلُّ شَـيْءٍ هَالِـكٌ إلاَّ وَجْهَهُ**»، وأن جميع القصص تعود إلى كلمة **إلا** هذه، لانه هو وحده الباقي، بحيث قال تعالـى «**الْحَيّ الَّذِي لا يَمُوتُ**»، فالهلاك يشـمل كل شـئ «**إلا وجه الله**» و كل شـئ وكل انسـان وكل عمل ينتسـب إلى **وجه الله** يؤخر بقدر هذه النسبة موته، ويكتسب بقاء أكثر مقارنة بالاخرين.

إن الإمـام صاحـب الزمان، هو وجه الله الأكبر، بحيث نقرأ في دعاء الندبة:

أيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ إلَيْهِ الأوْلِيَاءُ؛

إنه الوجه التام والكامل للحق وصاحب جميع فضائل وكمالات الأنبياء والأولياء الإلهيين وهمزة وصل وإرتباط وتمسك سائر أولياء الله.

إن **وجه الله الأكبر** إمام الزمان(ع) وصاحب الزمان، هو مظهر اسـم الحي، وبما أنه مظهر اسم الغيب أيضا، فهو موجود خلف ستار الغيب. ويقـول(ع) في توقيعه الشـريف والمبارك في شـهر رجب حول بعض عباد الله:

لا فَرْقَ بَيْنَكَ وبَيْنَهَا إلّا أنَّهُم عِبَادُكَ؛[1]

و**في وجه الله الأكبر** أي إمام الزمان(ع) الذي هو وجه الله التام، تتجلى جميع الأسماء والصفات الكمالية الإلهية بحيث تكون مرآة الذات القدسية الإلهية.

---

١. الطوسي، محمد بن حسن، «مصباح المتهجد وسلاح المتعبد»، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة الاولى،، ١٤١١ هـ، ج ٢، ص ٨٠٣.

وكل هـذه مقدمة، لكي يعرف حجة الله على أنه **خليفة الله** و **بقيةالله**. إن خليفـة حضـرة الحق يحظى بأسـمى وأرفـع الفضائـل والكمالات. صفات كمالية يجري نصيب منها ونسبة إلى سائر الكائنات والمخلوقات الموجودة في الكون، في الكائنات الملكية أو الملكوتية.

ولا شك بان المعصومين هم **الثقل الثاني**، وكل ما يحظى به **الثقل الأول** أي القـرآن الكريـم، يحظـى به الثقل الثاني أي أهـل البيت، بما في ذلك أنهم **حجة** للبشـر، مثلما أن القـرآن هو حجة ويتولى الله تعالى نصرتهم وحمايتهـم مـن أي ضرر وخلل. لذلك فان كل مـا يصدر عنهم بما فيه الثقافة والحضارة الدينية الإلهية، سيكون باقيا وأن الله هو حافظ له.

إن مجمل كلامهم وسـيرتهم وسـنتهم وأوامرهـم ونواهيهم هي حجة. إنهم ولكونهم حق وينتسـبون إلى حقيقة الكون، حجة وسـيكونون ثابتين وباقين ودائمين إلى قيام السـاعة، لانه ورد في يقين ومعتقد أهل الإيمان «**أنّ الحَـقَّ لهُـمْ ومَعَهُم وفِيهـم وبهم**»، إذ نقرأ هذه العبـارة في تعقيبات صـلاة الفجر، وندخل بواسـطتها في حصين حصين لنحمي أنفسـنا من أي بلاء وآفة.

ومـن هـذا المنطلـق، أقول بان سـر المـوت المبكر لجميـع الثقافات والحضـارات يعود إلـى إبتعادها «**النظـري والعملي**» عـن «**وجه الله الباقي.**»

وتظهـر كل من الثقافات والحضـارات في ظرف محدود ومعين وفي

نسب **رحمانية وشيطانية وإنتقائية تارة**، وتتجلى في دائرة المقدرات والمقدورات، ومن ثم تموت. إن سر موتها يكمن في نظرتها الكلية. وهذه الزاوية في السير التكويني للثقافة والحضارة، يجلعها جاهزة للإنهيار والفناء.

إن الدعوة التي وردت في كتاب الله المبين للسير والسفر في الأرض، تعكس الدعوة للسير من الظاهر إلى الباطن.

والسفر يبدأ من صورة الحياة والمظاهر الخارجية لثقافة وحضارة الأمم وينتهي عند النظر في الباطن وكشف سر مجئ ورحيل الأمم وحضاراتها واكتشاف كل ما يؤدي إلى هلاك أو بقاء اثارها وسيرتها وسننها. ومن هذه الرؤية فحسب فان التاريخ والسير والسفر يؤدي إلى تفتق برعمة **العبرة** على أغصان النفوس.

إن المسافر الناظر، وخلال نظره لكل هذا، يكتشف اسرار إن جعلها إمامه، سيجد سر البقاء، وقد يتحول هو أيضا إلى حجة للاخرين.

إن **السير والسفر والنظر** ولا الرؤية بالعين، يؤدي إلى تفكير يمكّن الانسان من كشف العلاقة بين الأجزاء المنتشرة في الوجود وربط كل هذا بالكل المطلق.

إن الدولة الكريمة للإمام المبين، هي المظهر الخارجي لإمام الحق ووجه الله على امتداد الثقافة والحضارة التي تكتسب إمكانية الظهور والبروز بعد كل التجارب وكل الدول. إن مظهر **سيرة وسنة وامر ونهي**

الحجة الحق، حضرة وجه الله الأكبر، يكتسي بالضرورة صفات ويبرز كمـالات لم تتم تجربتها من قبل. جمـال تام ومتصف برحمانية تامة، لا يتصور فيه وجود ظلم وفرقة واضطراب وقبح وازدحام واشـتغال بغير اللـه وقيود وحصـر العالم الملكـي و... إن أيا من الأخـلاق والصفات المذمومـة، تسـتحدث وفقا للسـنة والقانون الإلهي، ضربـا من الإنهيار والموت.

إن الحصيلـة والنتاج العملي والنظري لـ**حجة الله** و **بقية الله** الذي هو **ثقـل** وميراث نبي الرحمة، يندرج في الثقافـة والحضارة الطيبة الإلهية لإمام الزمـان، لان حضرته صاحب كل الصفات الكمالية عديمة العيب والنقص ومظهر تام لحضرة الحق.

إن الإشـارة إلى كسـر القيود والحصر المندرج في العالم الملكي، في كل مـا يعمل حجة الحق في وقت الظهور الأكبر على إيجاده وظهوره، هي إشـارة إلى توفر إمكانية اتصال وارتبـاط الناس في الدولة الكريمة لامـام الزمان(ع) بالعوالم الملكوتية والمجردات، وهو الأمر الذي يعتبر مسـتحيلا في عصـر الغيبة وإمارة وحكومة غيـر المعصوم بل يقتصر على أحد أولياء الله فحسب.

إن قانـون الـولادة والموت المحتـوم، للثقافات والحضـارات النابعة والقائمـة على أسـاس غيـاب التقوى لدى الانسـان غيـر المعصوم، لا ينطبـق على هذه الدولـة الطيبة وثقافتها وحضارتهـا، لان أولئك الذين

هلكـوا، كانـوا يحملون بداخلهم سـر موت وإمكانية المـوت. إن هؤلاء وحسـب السـنة الإلهية التي لا تبديـل فيها، لابد لهم مـن تجربة الأفول والـزوال وبالتالي حلول ثقافة وحضـارة أخرى محلهم، لكن بقاء ودوام دولة الإمام الحق، دائمة وتستمر حتى قيام القيامة الكبرى. وحينما تتوفر كل الأرضيات والفرص لإزاحة الستار والاتصال والارتباط التام بالعالم الباقي والسرمدي.

إن حضـرة صاحب الزمان(ع) ومثلما أنه خليفة الله في الأرض، هو أيضا خليفة وإمام سكان العالم الملكوتي ورئيس وسلطان عالم المجردات ومعلم ومدرس جميع الملائكة، بحيث أنه في وقت الظهور، يسير رئيس الملائكـة، حضـرة جبرئيـل ومعه حضـرة ميكائيل وحضرة اسـرافيل وحشد غفير من الملائك أمامه وخلفه لينصروه ويخدموه، بحيث ان هذه الملائكة والأرواح تهبط طوال العمر وجميع السنوات، عند الإمام المبين وحجة الزمان الحيّ وتنزل عند عتبته.

وقال الإمام علي بن موسى الرضا(ع):

«إنَّ الإمامة أجلّ قدْراً وأعظم شـأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها النّاس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، فيقيموا إماماً باختيارهم.»[1]

وثمـة رجال من بين الأولياء والأوصيـاء الإلهيين العظام، مدعومون ومؤيـدون بالإمداد الغيبي والإلهام السـماوي وهم في أرفع درجة تثبيت

١. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، طهران، إسلامية، ج ١، ص ١٩٩.

الوشـائح والروابط بيـن العوالم والدرجـات المختلفة مـن الكون، وهم بوصفهم وسـيط الفيض يسـاهمون فـي رفد كافة سـكان العوالم الملكية والملكوتية.

وعلـى مدى الأعوام الأربعمائة الاخيرة، منذ السـنوات الأولى للقرن السادس عشر للميلاد وبالترافق مع أحداث نهضة الإصلاح الديني لمارتن لوثر، فقد أصبح العالم تدريجيا يشهد ولادة ونمو حضارة عرفت بالثقافة والحضـارة الغربيـة. إن هـذه النهضة الكبرى مرت عبـر مراحل برز فيها **المذهب الانسـاني** والتيار التنويري فـي المجال النظري و **الليبرالية** في المجال الثقافي، وأسسـت لتاريخ، أدار ظهره للسماء، لبناء جنة على الأرض وعلى يد الانسـان المنقطع عن الدين والأحكام السـماوية، لكن الغرب وعلى الرغم من تجاوز مراحل بسـط الفكر والثقافة في القرنين التاسع عشر والعشرين للميلاد، جرّب الصورة الكاملة لـ**حضارته**، ولكن وقبل أن يفتح أبواب الجنة الموعودة أمام سـكان الغرب وبعده الشـرق، شهد اندلاع أزمات وهزات، تحدت مجمل هذه الثقافة والحضارة.

ولسـنوات قبـل هذا، كان هنـاك رجال من بين الفلاسـفة والشـعراء والمنظريـن والمصلحين، ألقوا نظرة على الزوايا والإنحرافات النظرية والثقافيـة الغربيـة، ليتحدثوا عن نامـوس الكون والسـنن التي لا تبديل فيهـا، والنظـرة الأحاديـة للماديـة تجاه الكـون والتطـاول على مجمل الساحة الثقافية والمادية، ليتحدثوا عن مصير ونهاية هذا التاريخ، رجال

تعرضوا للنقد والإنكار الجاد خلال حياتهم. وقد وضع اسوالد اشبنغلر فيلسوف التاريخ كتاب «إنحطاط الغرب» عام ١٩١٤م. ليوجه انتقاداته اللاذعة لعنصر التوسعية الغربية ومصيرها. كما أظهر **ارنولد توين بي** (١٨٨٩ – ١٩٧٥) علائم تصدع جدران الحضارة الغربية وأتى على ذكر المجتمعات الغربية تحت صفة «المسيحية سابقا» و حفز وشجع الجميع على العودة إلى التعاليم الدينية، والكثير الاخرون من الرجال اعتمدوا قوالب المثال وحتى العروض المسرحية، لرسم التعاسة والفظاعة الحتمية لهذا التاريخ والحضارة.

إن هؤلاء ومن منطلق أصحاب الرؤية، وقبل أن تجتاحهم الأزمة الشاملة لصورة وسيرة هذا التاريخ، شاهدوا تصدعات الجدران النظرية والثقافية لهذه الحقبة، ووجهوا أصابع الإشارة ليتنبأوا بالهزيمة النهائية والإنهيار الغربي.

وخلال القرن العشرين، فتحت جميع الصدوع، أفواهها حتى يداهمها سوس التفرعن والنزعة الإستكبارية والتوسعية في النظرية والتطبيق والفساد والضياع في الأخلاق والثقافة والممارسة الجائرة في العلاقات والتعاملات، وبالتالي حصل ما حصل.

ويشهد اليوم، سكان شرق العالم وغربه، اضطراب وتشرذم مكونات هذه الثقافة والحضارة، ويؤمنون بانهيار هذه الإمارة التي لا تقهر في الظاهر. لقد داهمت الأزمة جميع الأوجه الفكرية والثقافية والحضارية

للغـرب وأن أبرز رمــوز هذا التاريخ، ظهرت فــي المدينة التكنولوجية والحديثة للغرب أي «الولايات المتحدة الامريكية»، بينما تتخبط هي في وضع مزر في الميادين الاقتصادية والسياسية والاخلاقية والإجتماعية.

لكن و وسط هذا الطوفان والبلاء، وبينما انتزع البرد والتجمد، الفرصة من الجميع، انبثقت البرعمة التاريخية لتبشر بتاريخ الغد.

تاريخ مختلف، فتح بخته حضرة صاحب الزمان(ع) باسم الدين والله والموعود المقدس للأديان.

ولا يسـتطيع أحـد إنـكار ولادة هـذه البرعمة الخضــراء. إن الهجوم الشــامل والجسـيم للغرب المسـلح على هذه البرعمة، يحكــي بحد ذاته وجودها وتناميها.

وربما يمكن الإذعان أنه في ظل **الوقت** و **البخت** السماوي الذي انفرج، فــي طرف من العالــم، فقد اجتاحت الأزمة الشــاملة للتاريخ والحضارة التــي يمتــد عمرها لاربعمائة عــام وطبعا الأرق، الغــرب، وفي طرف اخر، توفرات في الشــرق الاسلامي أرضيات وفرص نمو وتألق الثقافة والحضــارة الدينية. وهذان الإثنان، يرســمان **الوقت** الــذي يُحمّل الثقافة والحضارة الجارية والسارية، جميع متقتضياته الخاصة.

ولا بأس إن أصغيتم جيدا، ستجدون بان الأرض والسماء تصرخ:

أليس الصبح بقريب.

فائدة التاريخ لدى المؤرخين التقليديين

إن اسم **ابوالفضل بيهقي**[1] المؤرخ والكاتب الشهير في العصر الغزنوي (٥٣٤ للهجرة – ٥٨٣ للهجرة) وكتابه الشهير «تاريخ البيهقي»، معروفان بالنسبة لعامة الاشخاص الذين لهم معرفة بالتاريخ والأدب الايراني. إن اللغة البسيطة والنثر السلس لهذا الكتاب، أديا إلى أن يتحول إلى معيار لتحديد النثر البسيط عن المتكلف والمتصنع، لكن ما يلفت اهتمام وانتباه أصحاب العقل، هو الإنطباع الشاعري وعلم الكون الخاص بالبيهقي قبل نثره البسيط ومعلوماته التاريخية. بعبارة أخرى يمكن اعتباره ممثلا لمؤرخي العصور القديمة والايرانية والإسلامية، وهو يسعى بمنأى عن قيد الزمان والمكان وأثناء تبيان الحوادث والتطورات التاريخية

١. **ابوالفضل محمد بن حسين بيهقي**، ولد عام ٣٧٠ للهجرة في قرية «حارث اباد بيهق» بالقرب من «سبزوار»، وتوفى عام ٤٥٦ للهجرة في «غزنين.» وبدأ بيهقي كتابة «تاريخ البيهقي» في الثالثة والأربعين من العمر وأمضى ٢٢ عاما من عمره في تأليفه. وموضوع هذا الكتاب هو التاريخ ويقع في ثلاثين مجلدا، لكن بقي من كل هذا ستة مجلدات فحسب. وتعد قصة **حسنك الوزير** أكثر اقسام هذا الكتاب جذابية.

والإبتعاد عن التحليلات الأنانية، لكشف السر الخفي والمستتر خلف الوجه الظاهر. الشئ الذي أصيب به مؤرخو العصر الجديد وتدنسوا به بشدة. لذلك فان لغة وحكم ابوالفضل بيهقي أثناء نقل الأحداث التي جرت لسكان عصره، تقترب إلى لغة أهل الحكمة. الميزة الفريدة التي تظهر وتبرز لدى حكيم «طوس» **الفردوسي** وحكيم **كنجة نظامي**.

وبيّن بيهقي غايته من كتابة التاريخ هكذا:

لم أكن أقصد تبيان أحوال أهالي هذا العصر... لكن هدفي أن أكتب تاريخا قاعديا وأشيّد صرحا شاهقا، بحيث يبقى ذكره إلى آخر الزمان.[١]

ولا يمكن بناء صرح شامخ وخالد لدى أهل الحكمة من دون تحطيم قيود الزمان والمكان والتموضع في موقع رفيع يؤدي إلى كشف القواعد الثابتة والسارية في العلاقات التي تسود خلق العالم والخالية من الصور التاريخية والظاهرية الزائلة.

ولهذا السبب يكتب **ابوالفضل بيهقي**:

لم أكن أريد إقتلاع هذا التاريخ. وحيثما كانت نقطة، تعلقت بها...[٢]

وبيهقي شأنه شأن الصياد المتربص في كمين، يعمل على التقاط نقاط من بين الأحداث حسبما يقول، ويتعلق بها ليفك عقدة ويكشف سرا مستترا خلف وجه الحوادث.

إن هذا التوجه السامي نحو العالم والانسان أدى إلى أن يعتبر البيهقي

١. «تاريخ البيهقي» باهتمام بهمنيار، المطبعة الاسلامية، الطبعة الثانية، ص ٩٦.
٢. المصدر السابق، باهتمام غني وفياضي، خواجو للنشر، ص ٣٣٢.

الفائـدة الدنيوية والاخروية لقراءة التاريخ والحكاية بان لها أفضلية على اسـتقاء المعلومات مـن وجه الحوادث التاريخية التـي مرت على الأمم ويقول حول فائدة التاريخ:

... وفائـدة كتـب الحكايات والحوادث الماضية هي أن يتم قراءتها تدريجيا وانتقاء ما ينفع منها.[1]

ولدى أهل الحكمة، فان إرسـاء العمل (الجزئي والكلي) على القواعد النظرية والفكرية المتعالية والجاهزة لتحفيز الانسان على التفكير، يسهم في سيره وسفره من عالم الظاهر إلى عالم الباطن، وثبات العمل والبقاء والدوام. ولهذا السـبب فان المؤرخين التقليديين، يعتبرون ذكر الحوادث التاريخيـة بانـه فرع على بناء التاريخ الأسـاس. ويقـول بيهقي في هذا الخصوص:

أنـا ابوالفضل، عاينـت الكثير من الكتب، لاسـيما الاخبـار والتقطت منها أشـياء، ووسـط هذا التاريخ، كلام وعبـر للغافلين والمغتريـن لكي يتيقظوا ويفعل كل امرء ما ينفعه اليوم وغدا.[2]

التاريخ والتذكير

ويتطـرق البيهقي في كل موقع من كتـاب تاريخه الطويل إلى الموت والسنن الثابتة للتاريخ، ويخوض في مصير وسيرة حياة أبطال ووزراء

---

١. المصدر السابق، باهتمام محمد جعفر ياحقي، مشهد، جامعة فردوسي، ١٣٨٣، ص ٦١.
٢. المصدر السابق، ص ٢٠٤ .

ووكلاء بـلاط سـلاطين «غزنة» (**السـلطان محمـود** و**السـلطان محمد** و**السـلطان مسـعود غزنوي**) ليأتي على ذكر مصاديـق عن هذه الأذكار وتبيان السـنن، ويبين كل ذلك ليرسـي حسب قوله تاريخا أساسيا كبيرا وخالدا، لكي ينتفع منه الجميع في جميع الأزمنة والأحوال.

وفـي الأحـداث التـي وقعت لألمـع بوابـي وخدمة بلاط السـلاطين الغزنويين، أي **علي قريب** والنهاية المشؤومة التي مارسها ضده السلطان مسعود (بعد كل الخدمات والطاعة التي قدمها) يكتب بيهقي في كتابه:

وفي النهاية، فان علي قريب لقي حتفه بعد وفائه للدولة الغزنوية غير الودودة.

وحسبما يقول **ابوالفضل بيهقي** فان نهاية الانسان، هي الموت. فالطيبة والعمـل الصالح والاخلاق الحسـنة، مطلوبة لانها تنفـع وتثمر في كلا العالمين.[١]

إن المعرفة السـامية والوعي، يوصلان رجل خبر مُرّ الحياة وحلوها و حنّكـه الدهر بكل تقلباته، مثل ابوالفضل بيهقي إلى موقع بحيث تكون لغتـه وكتابه زاخريـن بالذّكر، لكي يأتي من بعده قـارئ تاريخه ليتذكر حقيقة ثابتة وألا يغتر وينخدع بالدنيا.

ويتحـدث فـي قصته الشـهيرة **حسـنك الوزير** وعصره بلغة شـاعرية وجميلة عن الدنيا وحكام ليلة "يلدا" (وحسب قول حافظ كلام حكام ظلمة

١. المصدر السابق، باهتمام خليل خطيب رهبر، ج ٣، الطبعة الثامنة، خوارزمي للنشر، ص ٤٩.

ليلــة يلدا) فيقول أن أي قارئ ينســى بُعد المــكان والزمان ويصغي إلى كلامه بتمعن:

لقد رحل هو وهؤلاء القوم الذين مارسوا هذا المكر رحلوا أيضا، وهذه اسطورة حافلة بالعبر، وتركوا وراءهم كل أسباب النزاع والمكابرة من أجل حطام الدنيا. فالأحمق هو الانســان الذي يعشق هذه الدنيا ويغتر بها ليعطي نعمة ويتسلم قبحا.

لقــد جعلــت من الحديث حــول تاريخ البيهقي مقدمــة و ذريعة لأقول: إن رجــال أصحاب الحكمة، حتى وإن اســتخدموا قلمهــم في كتابة وجه الحــوادث التاريخية للأيــام الخوالي، فانهم والأخريــن يذكرون بالباطن المســتتر خلف الوجوه ليحولوا دون إنخــداع الناس ووقوعهم في براثن الغفلة.

إن الأمم التي لا تتذكر الحوادث التي جرت للأقدمين ولا تتعظ بمصائر الأمم الاخرى، فانها ستصبح عبرة للأجيال المستقبلية. إن التجربة أثبتت للأســف بــان أي مجموعة اجتماعية، عندما تتربــع بعد محاولات، على كرســي السلطة والرئاسة، فانها تعتبر نفسها في غنى عن دراسة مصير وعاقبــة الأقدميــن والإتعاظ بها، وكأن عصا الســلطة تجلب معها الغفلة وتقذفها في قلب اللاهثين وراء الســلطة. ومن هنا وفي طرفة عين، وما أن انتبهوا، فانهم يخســرون الفرص الضائعة ويرون أنفســهم يواجهون الموت الحتمي.

التاريخ يعيد نفسه

إن عبارة «التاريخ يعيد نفسه» والتساؤل حولها، تطرح ضمن القضايا المتعلقة بفلسفة التاريخ. وظن البعض أن القصد من أن التاريخ يعيد نفسه هـو تكرار الوجه التاريخي لحـادث ما في زمان ومكان ثانٍ. لكن الأمر ليس كذلك.

ومن وصية للإمام علي أمير المؤمنين(ع) للإمام الحسـن بن علي(ع) كتبها إليه:

«اسْـتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْـبَاهٌ وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِى إِيلَامِهِ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ وَالْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ.»[١]

والقصـد من **التاريخ يعد نفسـه** ليس تجديد وجـه الحقائق، إذا ما كانت قد حدثت ذات مرة. ولا شك في هذا الخصوص بان تكرارا لا يحدث.

إن التاريخ يعيد نفسه يعود إلى مجموعة السنن والقواعد الثابتة الجارية والمقـدرة في الكـون، القاعدة التي تنطوي في أي مكان وزمان وفي أي وجه تاريخي، على إمكانية التكرار والتجربة.

وتوجـد دائمـا مجموعة من القواعـد والقوانين والسـنن الثابتة وغير القابلـة للتكـرار في طبقـات الحياة الماديـة والثقافية (العوالـم الفيزيقية

١. «نهج البلاغة»، رسالة الإمام علي إلى الإمام الحسن المجتبى، القسم ٢٧.

والميتافيزيقيــة) تعيــش معهــا الكائنات التي تســكن هــذه العوالم وتنظم شؤونها.

ففــي العالــم الفيزيقي، ثمة مجموعة من هذه القوانيــن والقواعد الثابتة وغيــر القابلــة للتكرار والقابلــة للتحديد والتأشــير تملك البشــرية وعيا واطلاعــا بشــأنها وتجربها. وبمحاذاة ذلك، هنــاك مجموعة من القواعد والقوانين الخفية الاخرى في العلاقات بين الشــعوب والعالم الميتافيزقي يطلق عليها إسم «سنن التاريخ.»

إن هذه الســنن والقواعد تســهم في تواصل جميع الظواهر المنتشــرة في الكون وتؤدي إلى إدارة عالم التكوين والتشــريع بشــكل أحسن، ومن دونها، فان جميع العوالم سترتبك وتؤدي إلى التشرذم والإضطراب.

وفــي العالــم المادي والفيزيقــي، يتجمد الماء عند صفــر درجة مئوية ويغلــي عند مائة درجة مئوية، وهي قاعدة وســنة ثاتبــة وقابلة للتكرار ومقــدرة يعرفهــا الجميع في كل عصــر وزمان. ومــع توافر الظروف والأســباب اللازمة وعلى يد أي كائن كان (الزرادشتي والمسلم و...)، فان هذه القوانين ستظهر وتبدي آثارها ونتائجها.

إن مجموعــة القواعد الثابتــة والجارية في الظواهــر الفيزيقية وبنحو أدق في إطار الســنن التاريخية وفي الظواهر الميتافيزيقية، قابلة للتحديد والتأشــير. مجموعــة من الســنن الثابتــة والتي لا تبديل لهــا، بحيث إن تواجــدت أي أمــة في ظروف تشــبه الظــروف التي تواجــدت فيها أمة

أخرى في موقع اخر وفي زمان اخر، فان تلك القواعد ستظهر وتبدي آثارها ونتائجها. إن هذا الظهور المتكرر للسنن والقواعد في الظروف التاريخية المماثلة، هو ما يطلق عليه **التاريخ يعد نفسه**.

إن معنى ومفهوم الإعتبار والإتعاظ بالتاريخ، هو التذكر بالسنن الثابتة التي تجري على الدوام تظهر تلك السنن في كل مكان وفي أي هيئة يكون فيها الانسان وتكشف عن أثرها الوضعي.

ومن هنا يتضح معنى ومفهوم الآية المباركة:

«قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين.»[١]

إن النظر بما حل بالأمم السالفة والإتعاظ بها، لا يعني السياحة والتفرج على المعالم الأثرية والتاريخية. إن النظر يعني كشف ودرك السنن الثابتة والجارية في التاريخ. وهذه السنن، وبتلك الصورة التي حدثت فيها وقضت على الأمم الكاذبة، فانها ستقضي على سائر المكذبين في أي حقبة وعصر وهيئة.

«أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً.»[٢]

لكن وا أسفاه، فان بني آدم لا يتعظون ولا يتذكرون!

إن النظر في القرآن والروايات المتعلقة بالمعصومين(ع) ودراسة

١. سورة آل عمران، الآية ١٧٣.
٢. سورة فاطر، الآية ٤٤.

مصير الأمم والشعوب، يجلعنا نواجه دفترا كبيرا وسميكا من السنن والقواعد الثابتة، أكانت تلك التي وقعت في صمت وفي جميع الأيام والليالي، بين خلق العالم وأظهرت نتائجها، حتى وإن لا يوجد شخص واحد يعرف شيئا عنها أو أن يمارس عنادا تجاهها وتكون نتائجها مكروهة ومنبوذة لديه.

إن الحكايات والتشابيه والأمثال الرائجة بين عامة الشعوب، تكشف في وجه عن الإنطباع العام والنظري للناس إزاء هذه السنن. إن الله تعالى ومن خلال تبيانه لمصير الأمم السالفة، يشير إلى الكثير من السنن الثابتة والجارية في العلاقات والتعاملات الفردية والجماعية للناس ويميط اللثام عن الحكم التي باتت مجهولة لعامة الناس.

الفصل الثاني

السنن الإلهية الثابتة التي لا تبديل فيها

واليوم إن سـألنا أي تلميذ إن كان الانسان هو من اخترع القوانين الثابتة والسـارية في الظواهر المادية أو أنه اكتشـف تلك القوانين، سيجيب: إن جميـع القوانيـن الجارية فـي الظواهر الفيزيقية كانـت موجودة من قبل وستبقى سارية حتى نهاية عمر العالم، وأن الانسان وعلى اثر المشاهدة والتجربة، يكتشـف تلك القوانين ويسـتفيد منها لتلبية إحتياجاته. كما أن السـنن التاريخية كانـت جارية دائما في العلاقات الانسـانية وتعاملاتها وتمت تجربتها. وقامت الكتب السماوية والكلام الوحياني للرسل، بتقديم تلك القواعد والسنن.

ونشير هنا إلى بعض السنن الجارية في العلاقات والتعاملات بين الأمم والشـعوب بمنـأى عن أي قيود زمانية ومكانيـة والتي تقع في الظروف الخاصة بها ونذكر في هذا الخصوص أنه كما يقوم الانسان في الظواهر

الفيزيائيــة بإعــداد مقدمات واســباب الأحداث وانكشــاف القوانين، فان البشرية تضطلع بدور مصيري في بروز السنن، بالضبط مثل الظروف التي يوفرها الحطب والنار لغليان الماء.

١. سُنة الإستئصال

الإســتئصال هــو من باب الإســتفعال ومشــتق مــن الأصل. إن ســنة الإســتئصال تطلق علــى العقوبات التي تقوم باجتثاث واســتئصال الأمم الباغية وغير القابلة للإصلاح من الجذور.

وحســب اللطف والحكمــة، فان الله حــدد مهلة لجميع أبناء البشــرية والأمم، للحياة وفرصة للإســتيقاظ من سبات الغفلة. ومع انتهاء أمد هذه المهلة واندلاع التمرد المفرط للانســان، فانه حســب السنة الثابتة، تعتمد قاعدة وسُنة الإستئصال وتجري بشأنهم.

وهذه السنة تعتمد عندما تقوم أمة عنيدة وجامحة، بإغلاق جميع طرق الهداية أمامها ولا يبقى أمل لإنقاذها.

وجاء في القرآن الكريم:

«أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُــونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ إِنّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلا يَسْمَعُونَ.»[١]

---

١. سورة السجدة، الآية ٢٦.

۲. سنة الإنتقام من المجرمين

ومثلما أن الصلحاء والمؤمنين لا يبقون من دون انتفاع وفائدة من أعمالهم في عالم الدنيا، فان الطلحاء والباغين، لن يتركوا وشأنهم، وأن الله تعالى ينتقم منهم في ذروة طغيانهم. إن الإنتقام يقع في الحقيقة في ذروة وأقصى الطغيان والعصيان وبعد ما يتبين بأن هؤلاء غير قابلين للهداية والإصلاح.

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ.»[۱]

ويتحدث الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن الإنتقام من المجرمين.

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ.»[۲]

إن الإنتقام ومعاقبة الظالمين، هو نوع من دعم الصالحين ورفع الظلم والحيف عن المظلومين، وهو ما يحدث وفقا للسنة التاريخية.

۳. سُنة الأجل المسمى القطعية

ولقد ورد في العديد من الآيات، تحديد وتعيين أجل ومدة لبقاء كل شئ وكل قوم على الأرض. وخلال هذه المدة، يتم من خلال الإبتلاء والإمتحان، تمييز الصالحين عن الطالحين، ويتضح كل ما أودع في

---

۱. سورة السجدة، الآية ۲۲.
۲. سورة الروم، الآية ۴۷.

صلب الآباء. ويقول الله تعالى:

«وَيَسْتَعْجِلُونَک بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَل مُسَمًّى لَجَاءَهُمْ الْعَذَاب وَلَيَأْتِيَنهمْ بَغْتَة وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.»[١]

وتتحدث هذه الآية عن سُنة الله، حيث نهاية محددة لكل فرد ولكل قوم، لا تتقدم ولا تتأخر.

٤. سُنة الموت القطعية

إن موت الأشـخاص والأمم، هو سنة ثابتة أيضا. وحسبما يقول حكيم طوس:

إن لم يكن الموت يبتلع الأناس

. لكانت الأرض تمتلئ بالناس من الشباب والشيوخ

«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ.»[٢]

والفارق بين السـنة السـابقة والآية الحالية، يكمن في أن الآية السابقة، تتحدث عن نوع الأجل والموت، لكن هذه الآية تشـير بصورة عامة إلى مبدأ الموت.

ويتحدث الله تعالى في آية اخرى عن فناء جملة الكائنات والمخلوقات ويقول:

---

١. سورة العنكبوت، الآية ٥٣.
٢. سورة العنكبوت، الآية ٥٧.

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.»[1]

فالموت هو مؤشـر علی اسـتغناء وقدرة الله تعالی، والفقر الكامن في سائر الكائنات.

وعسى أن يؤمنوا بأنه:

وحده موجود ولا أحد غيره

وحده لا إله إلا هو

٥. سُنة الهداية

إن الكائنـات المنتشـرة في عالم الإمـكان، متنوعـة ومتكثرة، ورغم أنها مشـتركة كلها فـي أرتداء ثوب الوجود، ونالـت نصيبا من الوجود والكون، لكنها تنقسم وتتشعب إلى مراتب وفئات وشعب وقبائل مختلفة بسبب إمتلاكها الأعضاء والجوارح والملزومات. فالطيور تمتلك أجنحة والدواب تمتلك أرجلا وأيدي، لكن الزواحف تفتقد إلى كلاهما.

إن الأعضـاء والجوارح المحددة لـكل مجموعة، هي لازمة لاي فرد ولـكل مجموعـة من جهة، وأن تكون موجودة فـي مجموعة خاصة من جهة اخرى، بحيث أن الجناح ضروري للطيران.

ولقـد تم منح كل مخلوق وكائن، إمكانات وملزومات حسـب مسـاحة وجـوده والمهمـة الموكلة إليه في الكون، ومن ثم وجهت جملة وتفصيلا

١. سورة الرحمن، الآيتان ٢٦ و ٢٧.

باتجاه وجهة معينة.

إن **«الهداية العامة»** حدثت بنحو تكويني وعن طريق الغرائز الخاصة بالكائنات الفاقدة للإختيار والعقل بينما حدثت **الهداية الخاصة** بنحو تشريعي وعن طريق الحجة الباطنية والحجة الخارجية (إرسال الرسل وإنزال الكتب)، لكي تتخلص جميع الكائنات من الغي والضلال في مسار الرشد وتجربة الكمالات حتى القرب إلى الله، وان تجرب وتحصل بمقتضى مساحة وجودها على الصفات الكمالية.

إن **سنة الهداية** مؤشر على لطف الله على كائنات سكان عالم الإمكان، وإن لم تجر هذه السنة، لكانت حكمة الخلقة يصيبها التشوه وتزول إمكانية تجربة الكمال ويحوّل السكون، العالم إلى مستنقع راكد. ولقد تحدث الله تعالى في آيات عديدة عن هذه السنة، حيث قال سبحانه وتعالى:

«رَبُّنَا الَّذِی أَعْطَی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَی.»[١]

٦. سُنة مجاهدة وهداية أهل الحق (بشرط الجهد والعمل)

وبعد سُنة الهداية، تبدي سنة تجربة الهداية والقرب وبعد المجاهدة، ذاتها. وهذه السنة خاصة بالكائنات صاحبة القوة العاقلة وقدرة الإختيار. أي الجن والبشر الذين يشتركون في امتلاك العقل والإختيار، وبعبارة أخرى، يسيران في العالمين. إن الملائكة والحيوانات ومن أجل الإنتشار

١. سورة طه، الآية ٥٠.

في عوالمهما، ليسا بحاجة إلى هاتين القوتين ويعيشان بشكل عام في ساحة واحدة.

ولقد ربط الله تعالى، الهداية والقرب بالمجاهدة، ليتم تمييز الصالح عن الطالح.

إن القرب إلى الله، هو ثمرة وفاكهة مجاهدة المجاهد في السير إلى الله، وأن الله تعالى يجعل من منطلق اللطف والكرم، هذه المكافأة من نصيب المجاهدين في سبيل الله، حيث يقول سبحانه وتعالى:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ.»[1]

٧. سُنة التضييق على المجرمين، علهم يرجعون

إن سُنة الإبتلاء والإمتحان التي نذكرها تاليا، هي سنة عامة، لم يُستثن أي أحد منها، حتى الأنبياء الإلهيين العظام. والكل يُظهر نفسه في مسار هذه السنة (البلاء والمحنة) ويجد مجالا للرقي والسمو عن طريق سُلّم هذا الإبتلاء. إن سنة التضييق على المجرمين، هي سنة يتبعها الله اللطيف الحكيم، بشأن جماعة خاصة (من المجرمين)، علهم يرجعون إلى الصراط المستقيم.

ويقول الله تعالى:

«ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ

---

١. سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

الّذِى عَمِلُوا لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ.»[١]

إن الدعوة للسير والسفر في الأرض هي دعوة لاكتشاف السنن الإلهية الجارية في التاريخ وبين الأمم والشعوب:

«قُلْ سِـيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ.»[٢]

٨. سُنة الإضلال، خاصة بأهل الباطل (بشرطها وشروطها)

إن الإضلال يعني جعله يضل ويضيع. وبما أن آيات من القرآن الكريم نسبت الإضلال إلى الله تعالى، ونظرا إلى أن الضلال هو فعل غير مرجو، ما دفع المفسرين والمتكلمين الاسلاميين للخوض والبحث في هذه القضية. وقد أبدى هؤلاء اراء وافكارا مختلفة في هذا الخصوص. ويستشف من مجمل الآيات المتعلقة بالإضلال الإلهي بان الإضلال الإلهي ينسحب فقط على أشخاص أساؤوا الإختيار، فاختاروا الظلم والفسق و... . ولا يوجد أي دليل على إضلال الاخرين (**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ**)،[٣] وإن إضلال هؤلاء الاشخاص يعني أنه تم سلب التوفيق منهم وتركهم في حالهم يعمهون. وسلب التوفيق والخذلان هذا هو إنعكاس لأعمالهم ليس إلا.

---

١. سورة الروم، الآية ٤١.
٢. سورة الروم، الآية ٤٢.
٣. سورة النساء، الآية ٤٠.

«ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَـــاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ.»[1]

ويقول الله تعالى كذلك:

«أَوَلَمْ يَسِـــيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَـــدَّ مِنْهُمْ قُـــوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَـــرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُـــلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَـــاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون.»[2]

۹. سنة إمداد المؤمنين (بشرطها وشروطها)

إن المعنى اللغوي للإمداد هو البسط والإطالة والزيادة في الشئ، ومن هنا أخذ منها معنى المســاعدة والإعانة. والعلاقة بين هذين المعنيين، تم تبيانها بصورة بديعة في «تفسير الميزان» في ذيل «الآية ۲۰ من سورة الإسراء»

إن الإمداد يعد من السنن الإلهية العامة وينسحب على المؤمن والكافر، قبل الهداية وبعدها.

«كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ.»[3]

---

۱. سورة الروم، الآية ۱۰.
۲. سورة الروم، الآيتان ۹ و ۱۰.
۳. سورة الإسراء، الآية ۲۰.

وتشـير هذه الآية إلى أن الإمداد الإلهي، يشمل كلتي المجموعتين من البشر، من يلهثون وراء الدنيا ومن يطلبون الآخرة.

إن سـنة الإسـتدراج والإملاء، هي من السنن ما بعد الهداية، رغم أنه من الممكن أن تصبح سنة الإستدراج والإمداد واحدة، مثل:

«مَنْ كَانَ فِى الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمنُ مَدًّا.»[١]

لكن هذا لا يعني إنها موحدة ومتشابهة. فالله تعالى يرزق الكافر الذي يرى حصيلة جهده في الدنيا، وهذا لا علاقة له بالإستدراج.

وفضلا عن الإمداد العام الذي يجسد صفته الرحمانية ويمد به المؤمنين، فان لله إمداد خاص يُعبر عنه بالتوفيق ويجسد صفته الرحيمية.[٢]

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا* إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا*هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالا شَدِيدًا.»[٣]

في الآية:

«كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ.»[٤]

---

١. سورة مريم، الآية ٧٥.
٢. راجع «الإمدادات الغيبية في حياة الانسان»، الشهيد مطهري، «الموسوعة الموضوعية للقرآن الكريم.»
٣. سورة الأحزاب، الآيات ٩-١١.
٤. سورة الإسراء، الآية ٢٠.

۱۰. سُنة الإستدراج

إن الذيــن أصيبوا بالشــبهة والســؤال أثناء مشــاهدة تمتع المشــركين والمعاندين، ويتســاؤلون عن ســر معانــاة المؤمنين وتمتع المشــركين، عليهم أن يتذكروا هذه السنة.

والإستدراج لغويا، يعني ترقية الشخص درجة درجة، أو إنزاله درجة درجة، ويطلق اصطلاحا على خفض رتبة أحد تدريجيا لدرجة يصل فيه شــقاؤه وتعاســته، ذروتهما وينزلق في براثن الهلاك. وهذا الأمر يحدث مــن خلال تجديد نعمة بعــد نعمة اخرى، حتى تتصاعد الغفلة بواســطة الإلتذاذ بالنعمات ويصبح الشخص مستحقا للعذاب.

والنقطة الرئيســية في سنة الإستدراج، تكمن في تجديد نعمة بعد نعمة اخــرى، وهذا الأمــر يتطلب طبعا الإمهــال، لكن هــذه الحيثية لم تؤخذ بالاصالة بنظر الإعتبار. «**سَنَسْــتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْــثُ لَا يَعْلَمُونَ.**»[1] كما أن «الآيــة ۴۴ من ســورة الانعــام» و «الآية ۹۵ من ســورة الأعراف» تعتبران من مصاديق سنة الإستدراج.[2]

«وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.»[3]

۱. سورة الشأعراف، الآية ۱۸۲ وسورة القلم، الآية ۴۴.
۲. الموسوعة الموضوعية للقرآن الكريم.
۳. سورة الأعراف، الآية ۱۸۲.

١١. سُنة نصر القادة الإلهيين

ويقول الله تعالى في سورة «المنافقون»:

«وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ.»[١]

إن سر تجربة العزة والنصر اللذين وعد بهما الله المجاهدين في سبيله والمؤمنين، تتبع مدى إنتسابهم إلى الله ورسوله، لانهما مصدر ومعدن العزة والتمتع والكمال، وكل من ينتسب إلى هذا المعدن، فانه يجعل التوفيق من نصيبه ويكتسب العزة والتمتع. وحسب هذه السنة، فان القادة الإلهيين، هم المنتصرون دائما في الميادين والساحات، لان الخير يعود إلى الله دائما، ولا مكان للدناءة والبشاعة والهزيمة في ساحته المباركة ، بحيث قال الله تعالى:

«وَمَن يَتَوَلّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا فَإِنّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ.»[٢]

وقد تحدث الله تبارك وتعالى بصراحة عن هذه السنة وقال:

«كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنّ أَنَا وَرُسُلِي.»[٣]

١٢. سُنة تغير المصير بسبب تغير الأسلوب

إن الساحة القدسية لله العلي القدير بعيدة كل البعد عن تثبيت قدر ومصير الأناس الذين يرفعون أنفسهم من مدار الجاحدين للجميل

١. سورة المنافقون، الآية ٨.
٢. سورة المائدة، الآية ٥٦.
٣. سورة المجادلة، الآية ٢١.

والكافرين بالنعمة إلى مدار الشـاكرين، وأن يعاملهم كمعاملة الجاحدين والناكرين للنعمة. وفي النقطة الاخرى، ليس من اللائق وبعيدا عن عدالة الله المتعال أن يكافئ الكافرين بالنعمة بقدر مكافأة المؤمنين الشـاكرين للنعم. لذلك تم تقدير سـنة ثابتة توفر للجميـع إمكانية الإرتقاء والتغيير، وفـي المقابل أن ينال كافـرو النعمة، جزاء وعقـاب عملهم، بحيث قال تعالى:

«لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ.»[1]

وحسبما يقول الشاعر:

إن شكرت على النعمة، فان نعمتك ستزداد

. وإن كفرت بالنعمة، فان النعمة ستزول عنك

إن سـنة التغير(وتعبيرها الأدق هو سـنة عدم التغير) أستخرجت من الآية «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ.**»[2] وتقول هذه الآية أن تغير الأوضاع والشـؤون الاجتماعية لأي قوم، هو تغير علوي نابع من تغير أساسي وجوهري، وهو التغير الذي يجب أن يحصل من داخل وباطـن هؤلاء القـوم، وطالما لم يحدث تغير في الحالـة الروحية لعامة أفراد الشـعب، فان الأوضـاع الخارجية والمؤسسـات الإجتماعية التي تحكم هذا الشعب، لن تتغير.[3]

---

١. سورة ابراهيم، الآية ٧.
٢. سورة الرعد، الآية ١١.
٣. الموسوعة الموضوعية للقرآن الكريم.

«إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ.»

١٣. سنة زوال الباطل

وقد أصدر الله تعالى في «سورة الإسراء» حكم القضاء الدائم على الباطل وقال سبحانه وتعالى:

«وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا.»[١]

إن زوال الباطل يأتي لانه يفتقد إلى عنصر الحياة والبقاء. إن الوجود هو بصورة مطلقة لله الحي الذي لا يموت، والذي يعطيه لأي كائن يشاء. والحق يعني الوجود والحياة والباطل لا يتناسب مع الوجود والحقيقة، وبالتالي فان أي قول وفعل ينتسبان إلى الباطل، يختزنان بداخلهما الموت والفناء، وهذه سنة الله الثابتة والجارية في جميع طبقات الكون والوجود. ويقول الله تعالى في سورة الأنبياء:

«بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ.»[٢]

١٤. سُنة الرحمة

إن الرحمن والرحيم هما من الأسماء الجمالية لحضرة الحق، والرحمة التي هي صفة كمالية، خاصة بالله تعالى. وفي جميع سور القرآن

١. سورة الإسراء، الآية ٨١
٢. سورة الأنبياء، الآية ١٨

الكريم، أدرجت آية «بسم الله الرحمن الرحيم» وأن رحمته تتفوق على سائر الصفات الكمالية الخاصة به سبحانه وتعالى. والخلقة مبنية وقائمة أساسا على الرحمة واللطف الإلهيين، واستنادا إلى هذا الإسم والصفة، فقد بعث بأنبيائه وأوصيائه لهداية الجن والإنس، في حين أنه ليس بحاجة إليهم. وبصفة خاصة فان أهل البيت(ع) اعتبروا مصداقا تاما لرحمة الله المتعال. وفي سورة «الانعام» اعتبر الله تعالى الرحمة فرضا عليه وقال:

«كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ.»[1]

١٥. سُنة نزول البركات على المجتمع بسبب التقوى

تعد التقوى مفتاح قفل أبواب البركات والخلاص من المآزق والضيق، وفي المقابل، فان غياب الورع والتقوى والكفر بالنعمة والجحود، يمنع البركات. ويقول الله تعالى:

«وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.»[2]

إن عامة الأمم غير الورعة والتقية، أبيدت على اثر نزول البلاء والعذاب، لتصبح عبرة لسائر الأمم والشعوب. وهذه السنة الثابتة جارية في جميع الدورات وجميع الأمم والشعوب، وستستمر إلى الأبد.

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

---

١. سورة الأنعام، الآية ٥٤
٢. سورة الطلاق، الآيتان ٢ و ٣

وَالأَرْضِ.»[١]

١٦. سُنة العيش الضَنك، في حالة الإعراض عن ذكر الله

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنّ لَهُ مَعِيشَـــةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى.»[٢]

والضنــك تعنــي الضيــق من كل شــئ. ونقل عــن الإمام علــي أمير المؤمنين(ع):

«وَإنَّ مَعيشَةَ الضَّنكِ الَّتى حَذَّرَ اللهُ منها عَدُوَّهُ عذابُ القبر، إنَّه يُسلّطُ على الكافرِ فى قَبرِه تسعةً وتسعين تنيناً فَيَنْهَشنَ لحَمهُ ويَكسِرنَ عظمهُ ويَتردَّدنَ عليه كذلک إلى يَوم يُبْعث.»[٣]

ونقــل عن الإمام الصــادق(ع) عن أن الذين يعرضــون عن ذكر الله يحشرون عُمى:

«هُو ممَّن قال الله تعالى «ونَحشُــرُهُ يومَ القيامــةِ أعْمى» ،قال: قلت: سُبْحان الله أعْمَى؟ قال(ع): أعْماهُ الله عَن طَريقِ الجَنَّة.»[٤]

---

١. سورة الأعراف، الآية ٩٦
٢. سورة طه، الآية ١٢٤
٣. الطوسي، محمد بن الحسن، «الأمالي»، قم، دار الثقافة، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ، ص ٢٨؛ البحراني، سيد هاشم بن سليمان، «البرهان في تفسير القرآن»، قم، مؤسسة البعثة، الطبعة الاولى، ١٣٧٤، ج ٣، ص ١٤٢، ح ٩.
٤. القمي، علي بن ابراهيم، «تفسير القمي»، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، ج ٢، ص ٦٦ ؛ العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة،«تفسير نور الثقلين»، قم، اسماعيليان، الطبعة الرابعة.

۱۷. سُنة الإستخلاف (أهل الحق يرثون الأرض)

«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ.»[1]

وجاء في الروايات عن المعصومين(ع) أن القصد من الذين يرثون الأرض، هم أنصار الإمام المهدي(ع) الذي سيأتي في آخر حركات التاريخ وفي آخر الزمان. وربما لكون هذا الأمر يشكل سُنة والتحقق الحتمي وغير القابل للتغيير لوعد الله، قال رسول الله(ص):

«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ الدُّنْيَا إِلّا يَوْمٌ واحد لَطَوّلَ اللّهُ عَزّ وجَلّ ذَلِکَ حَتّی يَخرُج قائِمُنا فَيَمْلأها قِسْطاً وعَدْلاً كَما مُلِئَت جَوْراً وظُلْماً.»[2]

۱۸. سُنة الإستبدال

لقد سرت وجرت دائما وطوال التاريخ، سُنتا الإستخلاف والإستبدال بمحاذاة أحداهما الاخرى، كمصدر ومنشأ لبروز التطور والتغير بين الأمم والحضارات.

وفي ظل سنة الإستبدال، فان أعرض قوم عن القيام بالمهمة التي أنيطت بهم، ويسيروا على طريق الزوال والإندثار من خلال الإدبار وإدارة الظهر على أمر الله المتعال وأوامر ونواهي الأنبياء الإلهيين

---

۱. سورة الأنبياء، الآية ۱۰۵.
۲. الخزاز رازي، علي بن محمد، «كفاية الأثر في النص على الأئمة الإثنى عشر»، قم، بيدار للنشر، ۱۴۰۱ هـ، ص ۱۶۵.

العظام، فانهم سينقرضون حسب سنة الإستبدال ويحل محلهم قوم أخر.

«وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ [...] وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ.»[١]

والإستبدال يعني تبديل الشئ بشئ اخر. وقال الله تعالى في سورة المائدة:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ.»[٢]

فالإستبدال سنة حدثت على امتداد التاريخ وبين الكثير من الأمم. واعتبرت الآيات القرآنية والروايات الواردة عن المعصومين(ع) أن عوامل عديدة بما فيها التخاذل في الجهاد وطرد خليفة الله بالحق والتماهل والإهمال في تطبيق الأوامر الإلهية ساهمت في حدوث هذه السنة الثابتة.

ويقول الله تعالى:

«وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ.»[٣]

١. سورة الأعراف، الآيتان ٦٩ و ٧٤.
٢. سورة المائدة، الآية ٥٤.
٣. سورة محمد، الآية ٣٨.

۱۹. سُنة الإبتلاء والإمتحان

وذكر القرآن الكريم سنة «الإبتلاء والإمتحان» الثابتة تحت مفردتي البلاء والفتنة. وفي مفهوم الإمتحان والإبتلاء، ثمة نوع من التحقيق والتفحص، ليتميز الصالح عن الطالح والمؤمن عن المنكر. ومع تزود الإنسان بسلاحي الإختيار والعقل، واعتباره مسؤولا عن كل ما يفعله، يكون موضوع الإبتلاء والإمتحان يحظى بمكانة خاصة. كما أن موضوع العقاب والثواب الدنيوي والأخروي، يكتسيان مغزى ومعنى في الإنتساب إلى الإبتلاء والإمتحان.

وجليّ، أن رتبة الأشخاص ومدى صحة أعمالهم لا تتضح من دون إمتحان واختبار، بل أن موضوع العقاب والمكافأة في القيامة، يصبح أمرا مهملا وبلا مغزى، فضلا عن أن الامتحان والإبتلاء في خضم الحوادث، يؤدي إلى تطهر المجتمعات وسموها وارتقائها إلى مراتب أعلى.

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمّا يَعْلَمِ اللهُ الّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصّابِرِينَ.»[1]

ويجعل الله تعالى سنة «الإبتلاء والإمتحان» في هيئات مختلفة بما فيها الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات والصعوبات

---

۱. سورة ال عمران، الآية ۱۴۲.

والمشـاكل، ليتميز المؤمن عن الكافر والصالح عن الطالح. وثمة العديد من الآيات في هذا الخصوص.

«وَلَنَبْلُوَنّكُم بِشَـيْءٍ مّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثّمَرَاتِ وَبَشّرِ الصّابِرِينَ.»[١]

وتكمـن في حكمة الإبتلاء والامتحان، مسـألة إتمام الحجة على العباد وتطهيرهم من الحقارة والخساسة.

و»التمحيـص» تعنـي تنقية الشـئ وتطهيره من العيوب والشـوائب. ويـؤدي التمحيـص إلـى أن يعمل المؤمنـون دائما على تنقيـة وتطهير أفعالهم وأن يُمحَق المنكرون والكافرون على طريق الدركات.

«وَلِيُمَحّصَ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ.»[٢]

٢٠. سُنة العذاب والعقاب

وعلـى الرغـم مـن تصور العـوام، فـان موضـوع عقـاب الأفعال والسيئات، لا يقتصر على القيامة الكبرى وميزان الأعمال. فحسب سُنة اللـه المتعال، فان الأمم تصاب بسـنة التنبيـه والعقاب والعذاب من أجل التحذيـر والتذكار تارة ومن أجل التوبيخ والمعاقبة تارة أخرى. والتنبيه في الإصطلاح تأتي من أجل الإطلاع والإيقاظ من الغفلة.

وفـي إطـار هذه السـنة، فان الـردع والوقاية تأتي قبل حـدوث الفناء

١. سورة البقرة، الآية ١٥٥
٢. سورة آل عمران، الآية ١٤١

والإضمحـلال، وإن لم تتنبه وتتيقظ الأمم والشـعوب وتصر على الكفر والجور، فانها ستجرب الهلاك في ضوء سنة العذاب.

إن الله تعالى ومن أجل التنبيه والإيقاظ، يوفر وسيلة عودة الأشخاص إلـى طريق وصراط الحـق والصدق من خلال التوبيـخ اللفظي أحيانا، والتهديـد والإرعاب وابتلائهم بالآفات والامراض أحيانا اخرى. وطوال التاريـخ، فان واقعة العذاب الأليم، وقعت للأمم التي خسـرت كل سـبل وطاقـات الهدايـة برغم كل التذكار والتنبيه. وفي هذه الحالة، فان عذاب الكافرين، أعتبر بأنه يشكل نعمة للمؤمنين.

«وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَـذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا.»[1]

ويُستشـف من الآيـات المتعددة للقرآن الكريم، بان أحد أسـباب وقوع العـذاب الإلهـي، هو الظلـم والجور اللذيـن ألقيا بظلالهمـا على الحياة الثقافية والحضارية للأمم التي عاشت في العصور القديمة.

«وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُـلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ.»[2]

ويقول الله تعالى في سورة الحج:

«فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ

---

۱. سورة نوح، الآيتان ۲۶ و ۲۷
۲. سورة يونس، الآية ۱۳

مُعَطَّلَة وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ.»[١]

وماعدا الحالات التي ذكرنا، فان سننا وقواعد كثيرة اخرى جارية وفعالة في كل طبقات الحياة المادية والمعنوية، تتصرف شئنا أم أبينا، كقوانين الفيزياء وتبرز نتائجها، ومثلما أن الماء المغلي وبعض النظر عن منهج ونوعية الناس أو إطلاعهم على كونه ماء مغليا أم لا، فانه يحرق الأيدي، فان تلك السنن والقواعد تظهر نتائجها أيضا. والعامل الرادع أو المُشدّد لأثر هذه القواعد الثابتة، هو وعي الانسان وتيقظه وتدبره في الأمور. وفي ظل هذه المعاني يمكن فحسب تعريض ذواتنا لبركات السنن الرحمانية والجمالية لله تعالى أو أن نكون بمأمن عن النتائج العصيبة للسنن الجلالية والقسرية.

وربما يمكن القول أن قسما كبيرا من آيات الكتب السماوية وأوامر ونواهي أئمة الدين، تعمل على توعية الانسان تجاه هذه السنن وحمايته من التبعات السيئة لهذه القواعد الجارية وتداعياتها.

إن السنن والقواعد الثابتة والتي لا تبديل فيها لله تعالى والتي تجري في كل طبقة طبقة ومشهد مشهد من الحياة، وفي كل العوالم، لا تقتصر على هذه العناوين العشرين. وثمة سنن عديدة أخرى يمكن تحديدها وذكرها، إذ لا يسع لهذه الرسالة الصغيرة التطرق إليها.

---

١. سورة الحج، الآية ٤٥.

صعود وهبوط الدول والحضارات

لقد وقعت غزوات وسرايا كثيرة في العصر النبوي وحياة الرسول الاكرم(ص).[1] والمواجهة الجادة الاولى التي حدثت بين المسلمين وقريش هي تلك التي وقعت في ١٧ رمضان من العام الثاني للهجرة، وهي غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون. وتكبد المشركون فيها هزيمة نكراء. وتفيد الروايات الواردة في هذا الخصوص ان ٧٠ شخصا من قريش قتلوا فيها ووقع هذا العدد منهم في الأسر. وقد أمر النبي الاكرم(ص) بنقل الأسرى إلى المدينة، وعندما وصلوا إلى وادي «الصفراء» قال(ص)، للإمام علي أمير المؤمنين(ع) بضرب عنق اثنين منهم وهما:

عقبة بن ابي معيط، وكان يسئ معاملة النبي(ص) والمسلمين في مكة.

---

١. «السرية» هي المعركة التي لم يقدها نبي الاسلام(ص) في صدر الاسلام على عكس الغزوة التي شارك فيها رسول الله(ص).

النضر بن الحارث الذي كان يُعذّب المسلمين في «مكة.»[١]

فلما رأت الأنصار ما فعله رسول الله(ص) بالأسيرين خافت أن يقتل جميع الأسرى. فقالوا: **يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك وأسرتك أتجد أصلهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء واصفح عنهم.**

وكان **أبوبكر** من المؤيدين لهذا الرأي فقال:

أهلك وقومك استأن بهم واستبقهم وخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار.

ولذلك نزلت الآية:

«مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتّى يُثخِنَ فِي الأَرضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لّولاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ.»[٢]

وعندما رأى النبي(ص) إصرار المسلمين على أخذ الفدية، أبلغهم أن عاقبة الفدية سيتمثل في مقتل عدد من المسلمين [في حرب أخرى] بقدر عدد أسرى قريش [في معركة بدر]. فقبل المسلمون. لكن على أي حال تقرر حينها أخذ الفدية. وتقرر أن يدفع كل أسير فدية بمبلغ ألف إلى أربعة آلاف درهم. وقد حررت قريش أسراها من خلال إرسال الفدية تدريجيا ... .[٣]

---

١. «سيرة ابن هشام»، ج ٢، ص ٢٩٨.
٢. سورة الأنفال، الآيتان ٦٧ و ٦٨
٣. «الموسوعة الاسلامية»، مادة بدر: www.wiki.ahlolbait.com

وفي السنة اللاحقة، أعدت قريش نفسها للثأر من قتلاها في «بدر» ولخوض معركة أخرى مع المسلمين، وعندها وقعت واقعة «أحد» في السابع من شوال. وعلى الرغم من أن رأي رسول الله(ص) وجمع من المهاجرين والأنصار استقر على عدم الخروج من المدينة وأن يبقوا بانتظار مجئ العدو، لكن إصرار البعض، اضطر النبي(ص) ليفعل هذه المرة أيضا ما لا يريده هو وأن يخرج من المدينة... .

وعلى أي وحال، وقف جند الاسلام، أمام الكفار، وعلى الرغم من أن المسلمين انتصروا في البداية، لكن تمرد وطمع جمع من المقاتلين، دفعهم إلى مغادرة مواقعهم، وما كان لهذا إلا أن يمهد لهزيمة المسلمين. وحسبما كان قد أعلن في مسألة بدر، فقد استشهد في غزوة أحد سبعون من المجاهدين أي بقدر عدد أسرى معركة بدر، وكان من بينهم حمزة، عم النبي(ص) والذي كان يحظى بمكانة مرموقة.

... وتوجه المسلمون إلى رسول الله(ص) وقالوا ما هذه المصيبة التي حلت بنا؟ ألم تكن قد وعدتنا بالنصر، فنزلت هذه الآية:

«أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ.»[1]

[وهذا هو الشرط الذي كنتم قد قبلتم به في يوم بدر].[2]

---

١. سورة آل عمران، الآية ١٦٥.
٢. البحراني، السيد هاشم بن سليمان، «ترجمة البرهان في تفسير القرآن»، كتاب الصبح، ج ٣، ص ١٤٢

وفي تفسير الآية المباركة:

«إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ.»[١]

روي عن زرارة عن الصادق(ع) في قوله تعالى: «**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا**» قال(ع): «**ما زَال مُذْ خَلَق الله آدَم: دَوْلة لله، ودَوْلة لإبْليس، فأيْنَ دَوْلة الله؟ أما هُوَ إلاّ قائِم واحِدٌ.**»[٢]

وفي أعقاب تشابك السنن، فان دولة تأتي بعد دولة ومن ثم ترحل، لكي يكشف كل قوم ما يحملة من ادعاءات ومواهب. وفي الحقيقة فان الإمام الصادق(ع) يشير إلى هذه الرواية عن الإمام محمد الباقر(ع) حيث قال(ع):

«إنَّ دَوْلَتنا آخرُ الدُول ولم يَبْقَ أهلُ بيت لَهُم دَوْلةٌ إلا مُلِّكوا قَبْلَنا، لئَلَّا يَقُولوا إذا رَأوا سيرَتَنا إذا مُلِّكْنا سِرْنا مِثْل سيرة هؤلاء، وهُو قَوْلُ الله عَزَّ وجَلَّ: «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.»[٣]

وربما يمكن القول إستنادا إلى كلام الإمام الصادق(ع) أن مجمل الدول التي تتأسس قبل الظهور الأكبر للإمام المهدي(ع) تقع في هامش الدول الشيطانية. والسبب يعود إلى أن مجمل هذه الدول، تنتسب بعلم أو دون

١. سورة آل عمران، الآية ١٤٠.
٢. العياشي، محمد بن مسعود، «تفسير العياشي»، ج ١، ص ١٩٩؛ البحراني، السيد هاشم بن سليمان، «البرهان في تفسير القرآن»، ج ١، ص ٦٩٦.
٣. الطوسي، محمد بن الحسن، «الغيبة»، قم، دار المعارف الاسلامية، الطبعة الاولى، ١٤١١ هـ، صص ٤٧٢ - ٤٧٣.

علم إلى قاعدة شيطانية بسبب غياب الإمام المعصوم والمُنَصَّب من قبل حضرة الحق والاستقرار على الهواجس والحوادث والإرادة المبنية على السلطة.

إن فقدان عنصر العبودية التامة، والتي تتجلى في دولة الإمام المعصوم(ع)، تجعل كلا من الدول تنتسب بدرجة ما إلى الشيطان.

وفي ظل سنن الله المتعال، فان تداول الدول بين أبناء البشر، يؤدي إلى إعادة معرفة المدعين وإتمام الحجة على الخلق واتضاح عجزهم في تأسيس دولة عادلة، مطابقة لأوامر ونواهي الله المتعال بشكل تام وشامل. ويقول الشاعر:

لا تعول على كوكبة الليل، لان هذا العَيّار المُتسكِّع

قضى على تاج كاووس وقصم ظهر كيخسرو[1]

وهذه من السنن الثابتة، بان يجد أي انسان، فرصة ومجالا لاستعراض الذات وإبراز ما يكنه في قلبه لكي تتم الحجة على الجميع. ومن هنا، تتضح سُنة تداول الدول.

ويكمن سر موت الدول إلى وجود عنصر الموت والفناء في تطبيق ونظرية المدعين. إن الإنتساب إلى الباطل في التطبيق والنظرية والإقلاع عن التقوى، يجعل بالضرورة الموت من نصيب جميع الدول.

١. «ديوان غزليات حافظ»، الغزل ٤٠٧.

لكل دولة وحضارة أجل مُسمّى

إن مجئ ورحيل الدول والحضارات وتجربة التوالد والموت المتتاليين، يميط اللثام عن أجل مسمى، ومقدر ومحتوم للجميع. ويقول الشاعر **سعدي الشيرازي**:

إن الملوك يقفون في الدور والطابور في هذا العالم

والآن حيث وصل الدور إليك أيها الملك!، أحكم بالعدل

إن جميع الكائنات المنتشرة في عالم الإمكان وكل من ينتسب بشكل ونوع ما إلى «عالم الإمكان»، يُنمّي بداخله ثمرة الموت. ويقول الله تعالى في كتابه الحكيم:

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.»[١]

وحسبما يقول الشاعر:

كل من يدب ويمشي على الأرض

فان مصيره وعاقبته الفناء والهلاك

وورد في حديث عن الإمام علي(ع):

«وكُلّ مُدّة فِيها إلى انْتِهاء، وكُلّ حَيّ فيها إلى فَنَاء.»[٢]

وحسب هذه السنة الثابتة والجارية، فان أي دولة وحضارة، لن تدوم، وحسب أجلها المسمى والمقدر لها، تسير نحو الفناء والهلاك. ويقول

١. سورة الرحمن، الآيتان ٢٦ و ٢٧

٢. التميمي امدي، عبد الواحد بن محمد «تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم»، قم، مكتب الاعلام، الطبعة الاولى، ١٣٦٦، ص ١٣٣، ح ٢٣٠٠.

الله تعالى:

«وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ.»[١]

وجاء في المثل **«إذا بلغت النافورة أوجها، فانها سترتد بعدها أسفلا.»** وأي كائن يرتدي ثياب الإمكان، لا يستطيع تجاوز الحدود المقدرة والمحددة له. إن بقاء وارتفاع النافورة، يتوقف على قدرة وطاقة محركها الدافع لها، لكنها وعلى أي حال، وفي ذروة صعودها وارتفاعها المقدر لها، ستسقط وتفنى. وعندما تمتلئ السعة المقدرة لكل من الكائنات والمخلوقات بما فيها الحضارات والدول، فانها ستنتهي. وفي الحقيقة، فان كل انسان وشئ يبقى بقدر استطاعته واستحقاقه.

ويقول الله تعالى:

«وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ* مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ.»[٢]

وهذه القاعدة، تنسحب على العالم باسره، وتغطى جملة الكائنات، بما فيها الدول والحضارات، لكن ثمة كلاما لطيفا، وهو أنه كلما ازدادت النسبة بين كائن واسم الحى المتعال، كلما تزايدت نسبة موهبة هذا الكائن وجدارته للبقاء. فاسم الحى هو اسم الحياة والبقاء.

ويقول الله تعالى:

---

١. سورة الأعراف، الآية ٣٤.
٢. سورة الحجر، الآيتان ٤ و ٥.

«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.»[١]

وقد استعملت كلمة الهلاك في القرآن في كثير من الآيات بمعنى الموت. وتستخدم مفردة الهلاك في اللغة بمعنى الموت أيضا.

وكل الكائنات والمخلوقات مآلها الهلاك، لكن كلما استأنس كائن بوجه الله الباقي، أكثر، كلما كان بقاؤه أكثر، وفي المقابل كل من انتسب إلى الضياع والظلم، فانه سيجرب الموت مبكرا.

وكل من انتسب إلى تلك الحقيقة الباقية، سيجد مجالا أوسع وأكثر للبقاء والدوام، وكأنه استشرب جرعة من ماء الحياة.

ومثلما أنه لا يمكن إعادة كائن هزيل ومحتضر إلى دورة الحياة من خلال تزيينه وتزويقه، فانه لا يمكن أيضا الحفاظ على الدول والحضارات المتهالكة والآيلة إلى الزوال وتجديد حياتها من خلال التزويق والبهرجة واستعراض الحياة. وكم هم جهلة الحكام الذين يظنون أن بوسعهم إطالة أمد دولتهم عن طريق استعراض القوة والعضلات وزيادة الحراس والحماة. إن هؤلاء قد أضلوا الطريق.

ويقول الله تعالى:

«وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ.»[٢]

إن معرفة كل قوم وتقييمهم، يتيسر من خلال تشخيص وتحديد نسبتهم

١. سورة القصص، الآية ٨٨.
٢. سورة يونس، الآية ١٣.

مع اسم الحي والحياة، لا عدد الأعمدة الثقيلة المرفوعة والقصور الشاهقة.

بعبارة أخرى، فانه عندما يتم رفع وإزالة القشرة الظاهرة عن كل من الحضارات والدول، فانه يمكن تشخيص وتحديد مدى نسبتها وتواصلها مع الحقيقة السائدة في الوجود.

إن تخطي القشرة الظاهرة والخارجية لكل من المجالات الثقافية والحضارية، يوصل الباحث الداعي للحق إلى الباطن الخفي لتلك الحضارة والدولة، أي إمامها ومقتداها.

لكل دولة وحضارة، إمام

لقد تم تقديم تعاريف مختلفة وكثيرة لمفردة «الثقافة» في مجال الدراسات الثقافية وعلم الاجتماعية. وبلاشك فان التعاريف المقدمة هذه، ليست على غير ذي صلة برؤية ونظرة واضعي ومقدمي تلك التعاريف.

ولدى عظماء الثقافة والأدب الفارسي والحكمة الايرانية، فان الثقافة هي على وزن «فرهنج» بمعنى العلم والمعرفة والعقل والأدب والعظمة والحصافة.[١] وبغير ذلك فانها تستخدم أيضا في مجال الأدب والعقل والمعرفة والفن والحكمة، بحيث قال حكيم طوس **الفردوسي**:

١. «البرهان القاطع»، مادة «فرهنك»، ص ٦٦٢؛ قاموس «معين»، مادة «فرهنك»

إسألوا العارف والعالم بعد العادل

أيهما أفضل الثقافة أم الجوهرة

ورد عليه مرشدا إياه قائلا

إن الثقافة تزيد قيمة وتكريما على الجوهرة

لأن الثقافة تزيّن النفس

والحديث عن الجوهرة يصبح سهلا[١]

وفي الأعمال الأدبية استخدمت الثقافة بمعنى الروعة والشرف والشخصية. وفي قاموس «معين» الفارسي، وردت مفردة «فرهنك» أي الثقافة بمعنى الأدب والتربية والعلم والمعرفة والآداب.[٢]

إن عامة المعاني التي قدمت بشأن هذه المفردة والمفاهيم النابعة عنها، تعكس القيم الإنسانية السامية والخصائل والصفات الباطنية، الشئ الذي يوجه حياة الأمم ويضفي عليها معنى وجهة في الصورة الظاهرة والخارجية، ويحدد توجهات الأمة حول العالم والانسان وكيفية العيش في الوجود. ولذلك فان الثقافة، اعتبرت بمثابة باطن وروح الأوجه المادية والحضارية، وهي التي تقدم هوية الأمم وشخصيتها وحضارتها.

ولذلك يقال أن أي ثقافة وحضارة هي كالدوائر المتداخلة والتي تسير من الظاهر بإتجاه الباطن، بعبارة اخرى، فان الحضارة تمثل الوجه المادي والخارجي للثقافة بينما الثقافة تمثل الوجه المعنوي والباطني

١. «الشاهنامة»، نصيحة لـ بزركمهر، نوشين روان.
٢. «قاموس معين الفارسي»، مادة «فرهنك»

للحضارة.

إن ما يسهم في بقاء وديمومة الوجه المادي والحضاري لأي أمة، هو الطبقة الداخلية للثقافة لا الأعمدة والقصور وكل حضارة تتميز عن سائر الحضارات بواسطة ماضيها وتاريخها وصبغة ثقافتها.

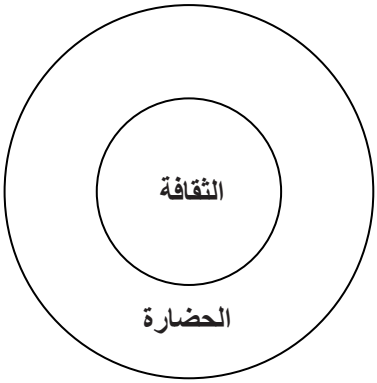

بعبارة أخرى، فان الحقل الثقافي، يشبه الروح والباطن الخفي والمستتر، الذي يضفي روحا وحيوية على جميع الأوجه المادية والعلاقات والتعاملات الحضارية لامة ما، ويسهم في إيجاد التناسق بين جميع مكوناتها الحضارية، وإن ما يميز حضارة عن حضارة أخرى، هو الثقافة.

ولا يجب نسيان أنه مثلما أن الوجه المادي والخارجي، أي الحضارة، مطلقة العنان والفاقدة للدعامة والأساس، لا يمكن ان تحظى بالإستقرار والدوام، فان المجال الثقافي، يرتبط بالدعائم والأسس التي ترفده وتضفي

عليه توجها ومغزى.

وبناء على ذلك، فان الثقافة والأدب اللذان يضفيان معنى على حضارة كل أمــة، يندرجان ضمــن الحقل النظري والفكــري والعقائدي الخاص الذي يطلق عليه اسم «علم الوجود» (الفكر).

وقــد تطرقت باســهاب فــي كتاب «الفكــر والثقافــة والحضارة» من إصدارات «مؤسسة موعود العصر الثقافية» إلى هذا الموضوع.

بعبارة أخرى، فان التوجه العام لكل أمة إلى العالم والانســان و «علم الوجــود» و «علــم العالــم» هو خــاص بها مــا رفدها في بنــاء دولتها وحضارتهــا الخاصة بها، وتعرض حصيلــة إنطباعاتها على التعاملات الحضارية (فن العمارة وبناء المدن والملبس و...).

ومــن هنا يمكن القول: أنه يجب معرفة كل أمة وكل حضارة بتوجهها العــام وبمــا تعتبره إمامهــا ومقتداها. ويتضح مجمــل هوية وجوهر كل حضارة من خلال توجهها الخاص تجاه الكون وإمامها الخاص بها.

وعن حشر الناس في القيامة الكبرى يقول الله تعالى:

«يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً.»[١]

ومفاد هذه الآية هو أن كل انسان يُسأل في يوم القيامة عن إمام زمانه، فــان كان مؤمنا ومعترفا بالإمام الحق والمعيــن من قبل الله تعالى، فان

١. سورة الإسراء، الآية ٧١.

كتابــه يعطــى بيمينه. ولذلــك فانه يجــب أن يكون في كل زمــان، إمام واجب الطاعة ومنصوب من قبل حضرة الحق لتنظيم وترتيب الشــؤون الظاهرية والباطية للناس، وأن يتمتع الناس بمعرفة تجاهه، وأن يعترفوا بإمامته ويتبعونه.

وقال رسول الله(ص):

«مَنْ ماتَ ولَمْ يَعْرِفْ إمامَ زَمانِهِ ماتَ مِتَيةً جاهِلية.»[1]

العبادة، كامنة في ذات الانسان

إن العبــادة هــي أمر فطري وكامن في ذات وجوهر وجود الانســان، علــى غرار الدعــوة للحقيقة واعتمــاد الصدق والصدقيــة وكره الكذب والقبــح، الذي هو الاخــر كامن في ذات وجوهر الانســان وبالتالي فهو أمر جماعي.

إن الأمــر الفطري ولكونه ملتصقا وممتزجــا بطبيعة وفطرة وجوهر وخلقة الإنســان، ينســحب على جميع أبناء البشر، خارج ظرف الزمان والمــكان. ولذلك فــان الإيمان بالله وعبادة الله، تنبع من ذات الانســان. وعلى هذا الأســاس فــان عامل التوجه نحو الديــن والله، معطوف على الباطن والمتطلبات الوجودية للانسان.

---

١. إبن بابويه، محمد بن علي، «كمال الدين وتمام النعمة»، طهران، إسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٩٥، ج ٢، ص ٤٠٩ ؛ إبن شهر اشوب المازندراني، محمد بن علي، «مناقب آل ابي طالب»، قم، علامة، الطبعة الاولى، ١٣٧٩، ج ١، ص ٢٤٦؛ الشيخ حر العاملي، محمد بن حسن، «وسائل الشيعة»، قم، مؤسسة آل البيت، الطبعة الاولى، ١٤٠٩، ج ١٦، ص ٢٤٦

ومن المستحيل أن يكون الله تعالى جعل التبعية لامر ما بعهدة الانسان وكلفــه بتنفيذه، لكنه لم يجعله كرغبة فطرية في ذات الانســان ووجوده، مثلما أنه من المســتحيل ألا يجعل لكل أمر ورغبة فطرية، بعدا خارجيا في العالم الخارج.

إن ابليس وجنوده، وعلما منهم بطلب نفس الانسان، يسعون لجعل هذا الطلب وقرصنة الانســان، أي أن الشياطين ومن خلال ممارسة المكيدة والخديعة، يزينون المجازي ليجعلونه حقيقيا في نظر وعين الإنسان، في سبيل إغوائه وتضليله.

ولهذا الســبب يكتســب موضوع المعرفة وضرورة اكتســاب المعرفة حــول المرجو بالنســبة للمُنَصَّب من قبل الله، أي الإمــام المبين، مكانة وموقعا.

وفــي الحقيقة، فــان طلب الامام موضــوع في جوهر الانســان كأمر فطري من جهة، كما وضع في الجانب الخارجي له، في شخص معين كذلــك من جهة اخرى، وان واجب الانســان يتمثل في معرفته والســير على خطاه.

أريد أن أقول بان الدين الإلهي، بما في ذلك العبادة، هو مطلب باطني للانســان، لا أن يكون تم فرض شــئ ما عليه من الخارج. إن ما تطلبه فطــرة الانســان ظهر فــي الدين وهدايــة الأنبياء الإلهييــن، لكي لا يتيه ويضيع الانسان في مطلبه هذا.

وهذا المعنى سار وجار بالنسبة لأمر التبعية للإمام المنصوب وواجب الطاعــة كذلك. إن عامل الطلب والتبعية للإمــام، هو بمثابة حجة العمل وزعيم الطريقة، يعود إلى باطن واقتضاء وجود الانسان. إن جميع أبناء البشرية، يميلون ذاتيا إلى الهداية والزعامة، لكن الكشف والوصول إلى هــذا المطلــوب والمصداق الحقيقي، وضع على عاتق الانســان كتكليف وواجــب، لان اللــه تعالى لم يتوان عن فعل شــئ وذلــك من خلال منح الانسان نعمة المقدرة على الإختيار وبعث الأنبياء وإنزال الكتب.

إن موضوع تحمل الانســان المســؤولية والسؤال منه في يوم الحساب يعــود إلى هذا الشــئ، أي توافر كل الإمــكان والإختيار لإنتخاب طريق الهدايــة عــن طريق الضلال. وقــد اعتبر كتاب الله ورســول الله(ص) بوصفهما مُذَكِّرٌ، بحيث قال سبحانه وتعالى:

«إِنّا نَحْنُ نَزّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُونَ.»[1]

وقال سبحانه وتعالى مخاطبا النبي(ص):

«فَذَكِّرْ إِنّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ.»[2]

إن كتاب الله ورســول الله(ص) باعتبارهما مُذكّرا، يُذّكران الإنســان بكل ما أودعه الله في طبعه وفطرته.

وإســتنادا إلى الآيات القرآنية، إن ما يؤدى إلى إستتار الفطرة ونسيان المخــزون المودع في النفس، هو الإلتهاء بالدنيا والإنخراط في الذنوب،

---

١. سورة الحجر، الآية ٩.
٢. سورة الغاشية، الآية ٢١.

وهو الشئ الذي حُذر الانسان منه، وفي المقابل يبذل الشيطان كل همته لاظهار زينة ذلك. ويقول القرآن الكريم:

«ثُمّ كَانَ عَاقِبَةَ الّذِينَ أَسَـــاءُوا السُّوأى أَنْ كَذّبُوا بِآيات اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ.»[١]

إن الإلتهاء والإشتغال بالدنيا، والتركيز كله على زخارف الدنيا، يؤدي إلى نسيان الله:

«وَلَكِنْ مَتّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتّى نَسُوا الذّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا.»[٢]

إسـمحوا لي القول بان دور الأنبياء والأوصياء الإلهيين، بغض النظر عـن مقام ودور الهداية والتربية وتعليم الأحكام والأوامر والنواهي، هو دور يلبي حاجة فطرية أخرى للانسان أي الدعوة إلى الإمامة، بحيث أن الله تعالى أعتبر طاعتهم ، رديفا لطاعته ويقول:

«يا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.»[٣]

وفي موقع اخر ورد على لسان رسول الله(ص) الذي هو عين الكلام الوحياني، أن معرفة الإمام والتبعية للإمام المنصوب من قبل الحق، هو واجب وأن تركه يؤدي إلى الإنزلاق في براثن الجاهلية.

ومن المسـتحيل أن يأمر الله، عباده بشـئ من دون أن يكون تم تعبئة ذلك الشئ في طبيعة وجوهر البشرية بصورة فطرية.

---

١. سورة الروم، الآية ١٠.
٢. سورة الفرقان، الآية ١٨.
٣. سورة النساء، الآية ٥٩.

وفيما عدا ذلك، ورد هذا المعنى بصراحة في العديد من الروايات بان الله تعالى، وأثناء أخذ ميثاق الفطرة، أخذ عهد الوفاء من الانسان بشأن ثلاثة أمور مهمة أي التوحيد والنبوة وولاية أهل بيت الرسول الأكرم(ص).

«وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ من بَنِی آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا من قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ.»[1]

وسأل **زرارة**، الإمام محمد الباقر(ع) حول الآية «**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**»[2]، فقال الإمام(ع):

«فَطَرَهُم عَلى التَّوْحيد عِنْدَ المِيثاقِ عَلى مَعْرِفَتِه.»[3]

وفي حديث اخر، قال الإمام الباقر(ع) ردا على ذلك السؤال:

«فَطَرَهُم عَلى مَعْرِفَة أَنَّهُ رَبُّهُم ولَوْ لا ذَلِک لَمْ يَعْلَموا إذاَ سألوا مِنْ رَبِّهِم وَلا مِنْ رازِقِهِم.»[4]

واعتبرت بعض الروايات، النبوة والإمامة بوصفهما المعرفة والمواثيق الفطرية التي أخذها الله من البشرية.

---

۱. سورة الأعراف، الآيتان ۱۷۲ و ۱۷۳.
۲. سورة الروم، الآية ۳۰.
۳. إبن بابوية، محمد بن علي، «التوحيد»، قم، رابطة المدرسين، الطبعة الاولى، ۱۳۹۸ هـ، ص ۳۳۰؛ المجلسي، محمد باقر، «بحار الأنوار»، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ۱۴۰۳ هـ، ج ۳، ص ۲۷۸.
۴. البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، «المحاسن»، قم، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ۱۳۷۱، ج ۱، ص ۲۴۱.

وروى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق(ع) الذي قال حول آية الفطرة:

«عَلى التَّوْحِيد ومُحَمد رَسُول الله وعَلىّ أمير المُؤْمنينَ.»[١]

وإن سئل، أنه برغم كون هذه الأمور فطرية، فلماذا ينحرف أبناء البشرية عن الطريق القويم ويمضوا في الطريق غير السوي. فيمكن الرد على ذلك من خلال حديث عن الإمام الرضا(ع). سأله شخص: لماذا الإحتجاب بين الانسان وربه، فقال الإمام(ع):

«إنَّ الإحْتِجابَ عَنِ الخَلْقِ لِكَثْرةِ ذُنُوبِهِم.»[٢]

إن كون التوحيد والنبوة وولاية ولي الله الأعظم، أمرا فطريا، يميط الستار عن طلب وبحث نفس الانسان،، مثل الضمآن الذي يجوب الصحارى والجبال بحثا عن الماء حتى يناله. ومثلما أن الانسان الذي لا يملك ماء وطعاما، لا يستطيع العيش، فانه لا يستطيع مواصلة الحياة من دون تلبية تلك الحاجة الفطرية (التوحيد والنبوة والإمامة)، لكن إرتماء الانسان في أحضان الذنوب والإلتهاء بالدنيا وملذاتها، وبجانب مكائد ودسائس ابليس الملعون، يؤدي إلى أن يأخذ المجاز بدلا من الحقيقة وأن يبقى بمنأى وبعيدا عن النبع الفياض الصافي، ويخسر عمره عبثا في اتباع أئمة الكفر والشرك.

---

١. الصفار، محمد بن حسن، «بصائر الدرجات في فضائل آل محمد(ع)»، قم، مكتبة اية الله المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ، ج ١، ص ٧٨؛ إبن بابويه، محمد بن علي، «التوحيد»، المصدر السابق، ص ٣٢٩.
٢. إبن بابويه، محمد بن علي، «التوحيد»، المصدر السابق، الباب ٢٦، ص ٢٥٢.

ولهذا السبب قلت، إن جملة الثقافات والحضارات التي أسسها وأرساها الانسان، تنطوي على سر الاتباع الفطري للبشرية للإمامة (الحقيقية أو المصطعنة).

والمؤكد أن تحديد ماهية وجوهر كل من الدول والحضارات، يتطلب إماطة اللثام عن الإمام الذي يرضح لإمامته أصحاب تلك الدول والحضارات والذين أقاموا صرح تلك الدول والحضارات غير الرحمانية.

لقد أطلقت هذا الكلام، بمثابة الحكم العام على الثقافات والحضارات التي بناها وأرساها الانسان المنقطع عن السماء والمُعرِض عن الكلام الوحياني. وسبب ذلك واضح، لان الذي يتخذ ويصنع قرارا في ظل الإدبار عن السماء والإستناد إلى العقل المنقطع عن الوحي والإنطباعات المحدودة والأحادية للانسان وقدر الانسان في العالم وكيفية الوجود والعيش الفردي والجماعي في الأرض، ويرى أن رأيه يكفي لنيل الانسان للسعادة الدنيوية والاخروية، وعندها سيرى نفسه محشورا في وادي وبيداء الأزمة والمأزق. وإن كان غير هذا، لما كانت المدينة الفاضلة، بقيت كحلم وتطلع بعيد المنال للبشرية، بين طيات كتب واعمال الفلاسفة والحكماء وبعدهم المثقفين المتعطشين لليوطوبيا.

وماهو منشود ومطلوب، هو الطلب الفطري للتوحيد والنبوة وامامة رجل ياخذ بيد البشرية نحو السعادة.

بعبارة اخرى، فان روح الانسان مجبولة على التوحيد والنبوة والولاية. إن السجود عند عتبة المعابد والأوثان والرضوخ للنبوة الكاذبة والإمتثال لإمامة الكفر والشـرك والزندقة، ناجم عن القاعدة الفطرية لهذه الأمور الفطرية الثلاثة وطلب نفس الانسان.

إستنساخ الشيطان للبدائل

ومن جهة اخرى، عندما تطلب النفس، أمرا ما، فان اختلاق الشـيطان وجنوده لمصاديق خارجية له، يكتسـي معنى. إن إستنساخ وإيجاد البديل عوضا عن الحقائق المسـلم بها، يشـكل مسـارا مجربا على يد الشيطان لقرصنـة واختـراق بني آدم طـوال التاريخ وعن طريـق تلفيق وتخليق الفرق والطوائف والمذاهب، لكن ما يمهد للمذاهب والمناهج الشـيطانية الزائفـة والمـزورة، هو المعاصـي وكثرة الذنوب، الأمر الذي يتسـبب في عجز الانسـان عن كشـف الحقيقة ودحص المجـاز والإنزلاق نحو الضلال.

وفـي منظـور علم الكون ومعرفة الوجود والعالـم التوحيدي، لم تتجه أي قرية وأمة وأي مدينة وحضارة نحو الفناء والإندثار والهلاك، إلا إذا كانت قـد ربّت ونمت بداخلها عنصر الهـلاك واقتضاء الفناء والإندثار وأثمرته. إن مجئ وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية المتعددة ووقوع العذاب والعقوبات المتتالية بحق الأمم والشعوب، يحكي هذا الشئ، وإلا

فان الله تعالى قال:

«وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ * وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.»[1]

ويقول الله تعالى في قضية هلاك قوم نوح، على لسان النبي نوح(ع):

«وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا.»[2]

إن اقتضاء الهلاك، يتحصل على اثر الإصرار على اقتراف الذنوب وارتكاب المعاصي، والتمهيد بشكل ما لتطبيق القضاء والحكم السماوي، الأمر الذي لا مفر منه وفقا للسُنة الإلهية وناموس الكون. وهذه الواقعة تقع وفقا للأمر الإلهي المقدر والسنن التاريخية.

وعن الأجل المحتم والمُسمَى، يقول الله تعالى في سورة «نوح»:

«إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.»[3]

---

۱. سورة هود، الآيات ۱۱۷ ــ ۱۱۹.
۲. سورة نوح، الآيات ۷ - ۱۳.
۳. سورة نوح، الآية ۴.

إن الكون مبني على العلم والحكمة والعدالة و...، وبما أنه نابع من الله جل وعلا، فانه سيعود إليه بالتالي: «**إنّا لِله وإنّا إلَيْهِ راجِعُون.**»[١]

إن نبذ الضياع والقذارة، أمر لابد منه ومطابق لقانون الوجود والكون، مثلما أن البحر يلفظ الشوائب عنه.

ويقول الله تعالى:

«وَلَوْ شَاء رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّکَ وَلِذَلِکَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّکَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْکَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَکَ وَجَاءَکَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ.»[٢]

إن تشتت وتشرذم الناس في انتخاب الإمام والرضوخ لولايته، هو سبب اختلاف الأمم والقبائل، وإلا لكان المجال أتيح لتحقق الأمة الواحدة عن طريق الإمامة الواحدة المُنَصَّبة من الله تعالى. واولئك الذين رحمهم الله وحدهم الذين يبقون بمأمن عن الخلافات وبالتالي الهلاك والفناء.

وقال الإمام الباقر(ع) مخاطبا ابا عبيدة، في تبيان هذا الكلام السماوي:

«يا أبَا عُبَيدَة النّاس مُخْتلفون فى إصابَة القَوْل وكُلُّهم هالک ، قال : قُلت: قوْلُهُ: « إلاّ مَنَ رَحِمَ رَبُّک» قال: هُم شيعَتُنا و لِرَحْمَته خَلَقَهُم ، وهُو قَوْلُه: «ولذلکَ خَلَقَهُم» يقول: لطاعَة الإمام الرَّحْمة الّتى يَقول: «ورَحْمَتى وَسِعَت كُلَّ شَىءٍ» يقول: عِلْم الإمام ووَسِعَ عِلْمُهُ الّذى هُوَ

١. سورة البقرة، الآية ١٥٦.
٢. سورة هود، الآيات ١١٨ – ١٢٠.

مِن عِلْمِه كُلَّ شيء هُم شيعَتُنا.»[١]

والملفت هنا هو ان الله تعالى يقول في سورة هود:

«وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ.»[٢]

ويجب التساؤل: **لِمَ الإنتظار ومن أجل من؟**

فالإنتظار هو لتشكيل الامة الواحدة في اطار الإمامة الموحدة لحضرة بقية الله الأعظم(ع) بعد الظهور الأكبر.

إن اللــه تعالى قد خلق جميــع المخلوقات من الجــن والإنس للرحمة، وهذه الرحمة الواسعة ينالونها عن طريق إمام الرحمة، وينقذ الجميع من الاختلاف والتشرذم وبالتالي من الهلاك الحتمي.

وبرغــم أن هــذا لا يحدث في عصر الفترة وغيبــة حجة الله المتعال، في اطار الأمة الواحدة، لكن شرط الخلاص من الهلاك والفناء الحتمي، هو التمســك بهذا الحبل الإلهي المتين والإســتقرار في أمر ولاية الإمام المنتظــر في وقت الظهــور. إن الظهور التام لرحمــة الله في الأرض، يتحقــق على أرض الواقع، من خلال ظهور مظهر الرحمة والرحم، في ذلك الوقت الذي تتحقق فيه الدولة الإلهية.

وماعدا ســورة «هود» أمر الله تعالى بالإنتظار في سورة «الأنعام» أيضا واعتبر نفســه فــي فئة «**إنا منتظــرون.**» وعطف أئمــة الدين(ع)

١. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، طهران، علمية اسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ، ج ١.
٢. سورة هود، الآية ١٢٢.

هـذا الإنتظار على الظهور الأكبر لحضرة ولــي العصر(ع) بعد الغيبة الكبرى.

إيمان التاريخ المنصرم

لم تكن طيلة التاريخ والأحداث التي مرت على الأمم والشــعوب، قلة مــن الأنــاس الذين تمردوا من منطلق العناد والحقـد على أوامر الأنبياء على الرغم من كل الآيات والمعجزات الســماوية، أو انهم لم يتوبوا مع انتهــاء كافة الفرص وفي وقت تجربة علائم العذاب ونزول البلاء، مثل توبة فرعون وفي خضم تلاطم البحر وخلاص بني اسرائيل من شره.

وفيما يخص شأن نزول الآية الكريمة:

«أَوْ تَقُولُــواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ.»[١]

التــي نزلت على النبي الأكرم(ص) في مكة، ورد أن قريش كانوا من الذيــن يقولون أنــه إن اختار الله، النبي من بيننا، فــان أي أمة لن تكون أكثر منا طاعة لله وامتثالا لنبيه وتمسكا بكتابه، ومن ثم نزلت هذه الآية واتضح أن قريشا كانت تكذب وقد بقيت على كفرها وشركها.[٢]

---

١. سورة الأنعام، الآية ١٥٧.
٢. محمد باقر محقق، «نموذج البينات في شأن نزول الآيات من وجهة نظر الشيخ الطوسي وسائر المفسرين الخاصة والعامة»، طهران، اسلامي للنشر، ١٣٦١، ص ٣٥٣.

إن أيا من الآيات الإلهية سواء إرسال الرسل وإنزال الكتب، ترشد الأمم والشعوب نحو الهداية وتعد عاملا لإتمام الحجة. ويصدر الله تعالى بعد هذه الآية مباشرة في سورة «الأنعام» أمرا بالإنتظار، ويتحدث عن انتظاره لبلوغ موعد التحرر الكبير، حيث يقول سبحانه وتعالى:

«هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ.»[1]

وسئل الإمام الصادق(ع) حول هذه الآية فقال(ع):

«الآياتُ هُمُ الأئمَةُ والآيةُ المُنْتَظَرَةُ هُوَ القائمُ المَهْدىّ. فإذا قامَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلِ قيامِهِ بالسيفِ وإنْ آمَنَتْ بِمَنْ تَقَدَّمَ مِنْ آبائه.»[2]

ووا أسفاه! أن الإنسان وعلى أثر إغواء الشيطان يفقد الفرص في خضم طوفان الشك والكسل والإهمال، ويشهد في موقع ما الواقعة التي وُعد بها، لكن لا فائدة بعد من توبته وإنابته.

ونقل عن أبي بصير عن الإمام الباقر(ع) حول الآية **«لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ»**، إذ قال(ع):

«إذا طَلَعَت الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها، فَكُلَّ مَن آمَنَ فى ذَلِكَ اليَوْمِ لا يَنْفَعُهُ

---

۱. سورة الأنعام، الآية ۱۵۸.
۲. إبن بابويه، محمد بن علي، «كمال الدين وتمام النعمة»، المصدر السابق، ج ۱، ص ۳۰.

إيمانُهُ.»[١]

وأليس الان وعلى الرغم من جلاء ووضوح العديد من الوقائع المتعلقة بسنوات ما قبل الظهور الأكبر لحضرة ولي العصر(ع)، يعتبر العقل المكار، أن كل ذلك يعود إلى الأحداث الطبيعية ويحجم عن التأمل حول الوقائع والتذكر بشأن تلك الآيات؟

وسأل محمد بن فضيل، الإمام الرضا(ع) حول الفرج، فقال(ع):

«إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ يَقولُ فانْتَظِروا إنّى مَعَكُم مِنَ المُنْتَظِرين.»[٢]

إن الإنتظار هو أمر من الله المتعال وحصن منيع أمام طوفان الإهتياج والخلجانات المهلكة وعامل للردع في مواجهة الذنوب والإثم. إن درك هذا الأمر وتجربة الصبر الجميل، يمثل ممرا يوصل المرء إلى غد أفضل.

ونقل محمد بن ابي نصر عن الإمام الرضا(ع) حيث قال(ع):

«ما اَحْسَنَ الصَّبْرَ وَ انْتِظارَ الْفَرَجِ، اَما سَمِعْتَ قَوْلَ اللّه تَعالى: «فَارْتَقِبُوا انّى مَعَكُمْ رَقيبٌ»[٣] حديث وَقَولَهُ عَزَّوَجَلَّ: «فَانْتَظِرُوا انّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرينَ» حديث فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَانَّهُ انَّما يَجئُ الْفَرَجُ عَلَى الْيَأسِ، فَقَدْ كانَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ اَصْبَرَ مِنْكُمْ.»[٤]

١. القمي، علي بن ابراهيم، «تفسير القمي»، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤ هـ، ج ١، ص ٢٢٢، نقلا عن البحراني، سيد هاشم، «البرهان في تفسير القرآن»، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٠٠
٢. إبن بابويه، محمد بن علي، «كمال الدين وتمام النعمة»، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٤٥
٣. سورة هود، الآية ٩٤
٤. إبن بابويه، محمد بن علي، المصدر السابق.

الفصل الثالث

أسباب هلاك الأمم في منظور القرآن

إن «القرآن» ليس كتابا قصصيا أو للتسلية والترفيه، بل وكما ورد في كلام الله المجيد، فانه كتاب للذكر والتذكير:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ.»[1]

وعسى أن تتذكر القلوب المهيئة والجاهزة بواسطة آياته، وأن تستفيد من كل ذلك، مثلما أن النبي الأكرم(ص) إعتبر نفسه بانه مُذكّر، ومن أن الذكر ينفع:

«وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ.»[2]

ويأمر الذاكر المتعال، رسوله، بان يُذكّر بواسطة كلام الله المجيد، القرآن، أصحاب القلوب الخاشعة والجاهزة ويحذرهم من العقبات الكأداء والمرعبة:

---

١. سورة الحجر، الآية ٩.
٢. سورة الذاريات، الآية ٥٥.

«فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ.»[١]

إن من يخاف الله تعالى، يتعظ ويعتبر. وتباً وبؤساً لأشقى الناس الذين يتجنبون الإصغاء والإتعاظ !

«فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى.»[٢]

وفي معرض سرده للأحداث والوقائع التي مرت على الأمم والشعوب، يورد القرآن الكريم عوامل وأسباب عديدة كأسباب للهلاك، وأهمها:

١. الظلم والجور

إن التبعات والتداعيات الناتجة عن ممارسة الظلم والغطرسة ضد الاخرين، تبرز آجلا أم عاجلا وذلك حسب السنة الإلهية الثابتة، وترمي في تقدير معين، بالظالم في هوة الهلاك.

وليس صعبا على بارئ الكون والمكان، ولا يأبى أن يُبيد ويهلك القوم الظالمين بسبب ظلمهم وجبروتهم، ويأتي بدلا عنهم بقوم اخرين.

«وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ.»[٣]

ويقول الله تعالى في سورة «التوبة» أيضا:

«أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ

١. سورة ق، الآية ٤٥.
٢. سورة الأعلى، الآيات ٩-١١.
٣. سورة الأنبياء، الآية ١١.

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.»[1]

ويقـع الهلاك بعد إتمام الحجة، في ظـرف زماني ومكاني مقدّر. أجل محتوم، حتى إن لم يستسيغه أي من الظالمين.

وقد أماط الله تعالى، في مواقع مختلفة ومن خلال تبيان تاريخ وعاقبة الأمم المختلفة، اللثام عن سـر هلاكها، ويشير إلى العوامل التي ساهمت في تلك الوقائع التي تندرج كلها ضمن السنن الإلهية الثابتة.

٢. تكذيب الرُسل

وبعد الظلم، أعتبر تكذيب الرسـل، السبب الثاني لهلاك الأمم الطاغية والمتجبرة. وقال الله تعالى:

«كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَـوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُـودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْـوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُـلَ فَحَقَّ وَعِيدِ.»[2]

ويشكل التكذيب، مقدمة ضرورية للإنكار والإحجام عن العمل بأوامر ونواهي الأنبياء الإلهيين ووسيلة للقرصنة والتمرد والإفساد في الأرض.

ومـن يكـذب الحجة المُنصَّـب من قبل حضرة الحق، فانه يمشـي من دون حجة في الأرض بلا شـك. إن أي بشـر وانسان لا يسير في الكون والوجود من دون حجة. فإنكار ورفض الحجج الإلهية، يؤدي إلى إحلال

١. سورة التوبة، الآية ٧٠.
٢. سورة ق، الآيات ١٢-١٤.

الحجج الزائفة وغير الحق محلها وتنصيبها على عرش الأمر والنهي.

إن مجمل المستكبرين الطغاة الذين تربعوا على عروش الأمر والنهي والقضـاء، إعتبروا حكمهم واجب الإتباع والتنفيذ من قبل الناس. ولذلك فـان الإسـتمرار على التكذيب والإصـرار على إنـكار الحجج الإلهية، يؤدي بالتالي إلى تنصيب الطغاة المستبدين.

وفـي العصر الحاضر ولدى الانسـان المعاصر، فـان النفس الأمارة الأنانية الطبع، وبمنأى عن جميع الحجج الإلهيين والمنقطعة عن الأوامر والنواهي الوحيانية تعتبر نفسها في المجال الثقافي والحضاري الحديث، بانهـا تحـل محل حجة الله، وتقرع على طبل «لِمَن المُلْكُ اليَوْم» وترى أنها الحاكم المطلق، في حين أن الله تعالى هو الواحد القهار الذي جدير أن يعلن:

«لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.»[١]

ويعتبر الله تعالى في العديد من السور، وبصراحة، بان تكذيب الرسل والأنبياء الإلهيين هو سبب هلاك الكثير من الأمم ويقول:

«وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَـوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَـى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ.»[٢]

---

١. سورة غافر، الآية ١٦.
٢. سورة الحج، الآيات ٤٢-٤٥.

كما قال الله تعالى:

«أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ.»[1]

إن الهلاك المقدر للمكذبين، وكما يلاحظ، هو عبرة وآية لسائر الأمم، عسى أن ينأوا بأنفسهم عن دائرة الهالكين ويلتحقوا بدائرة الناجين.

إن كون الأمم المكذبة، تستحق الهلاك وكما ورد في الآيات القرآنية، مؤشر على حتمية السنن وثبوت تحققها على امتداد التاريخ وبين جميع الأمم والبلدان.

«وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا.»[2]

كما قال الله تعالى:

«وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ.»[3]

---

۱. سورة ابراهيم، الآية ۹.
۲. سورة الفرقان، الآيات ۳۷- ۳۹.
۳. سورة ص، الآيتان ۱۳ و ۱۴.

٣. الذنوب والفساد في الأرض

إن كانت ثمة إمكانية وقدرة لمشاهدة السنن الثابتة بالعين المجردة، لكنا نشاهد بان جملة العوالم وسكانها تستقر على مجموعة كبيرة ولا متناهية من الدوائر. دوائر متداخلة، تقوم كل منها وحسب موقعها بالمضي قدما في مسارها بالكائنات التي تقيم على أجنحتها، وتوصلها إلى ما هو مقدر لها.

وهذا يشبه، أن يستقل أي من الأناس، من علم أو دون علم، حافلة ويمضون قدما باتجاه وجهة محددة.

وإن نفى ركاب كل حافلة، وحتى سائقها وشركة السفريات وحتى المسار والطريق الذي تسلكه الحافلة، الموضوع، فان الحافلة ستصل الى المدينة والوجهة التي يجب أن تصل إليها وذلك حسب المهمة والوجهة التي تم تعريفها لها، أكان ركاب الحافلة يرضون بذلك أو لا يرضون.

وكل مسافر، لا يحب الوجهة المحددة للحافلة، الأفضل له أن ينزل منها ويغادرها ليستقل حافلة أخرى تسلك المسار الذي يحبذه والوجهة التي تريد الوصول إليها.

إن من يزرع قمحا، لا بد له أن يحصد قمحا، ومن يزرع شعيرا، لا بد له أن يحصد شعيرا.

إن السنن، هي مجموعة من المدارات والمسارات التي تضع في النهاية وجهة ومقصدا خاصا بها أمام الأناس الذين يقيمون ويدورون

في فلكها.

ويكشف الله تعالى النقاب عن مجموعة المسارات والمدارات ومجموعة السنن والقواعد الثابتة والمحددة، ولتذكير الناس، يأتي على ذكر مصير الأمم والقوم، ويكشف في النهاية مصير الإستقرار في مدار التكذيب والظلم أو تداعيات إقتراف الذنوب وممارسة الفساد.

ويذكّر الله تعالى في سورة «الإسراء» وفي آيات مختلفة، الناس بالهلاك الناتج عن الذنوب والفساد في الأرض ويقول:

«وإن مَّن قَرْيَة إلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَديدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا.»[1]

«وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا.»[2]

وجاء القرآن الكريم على ذكر الفسق ومشتقاته ۵۴ مرة. وأحد أهم مفاهيم الفسق في القرآن، هو معاداة ومناوئة الهداية ووضع العقبات أمام تحقق الأهداف الإلهية. وعلى اثر وقوع الانسان في مزالق الفسق، يوضع ستار على قلبه ويحول دون دركه للحقائق الوحيانية.

ويتصرف الفاسق على النقيض من تشريع الكون وجميع القواعد

---

۱. سورة الإسراء، الآية ۵۸.
۲. المصدر السابق، الآيات ۱۶-۱۸.

التكوينيــة والتشــريعية الموضوعة من قبل الله تعالــى، ما يؤدي بالتالي إلى إختلال وارتباك وتأزم العلاقات التي توصل حسب السنن، الكائنات إلى بر الأمان. وتأتي مفردتا الفســق والفجور في الأدب الديني والثقافة الدينيــة معــا دائما. إن التقــارب من حيث المعنى بين الفســق والفجور، جعلهما يكونان رديفين لأحدهما الاخر.

إن الفاسق والفاجر، يحملان ويقومان باكبر بلاء أخلاقي في المجتمع، ويقرعان طبول التمنيات والرغبات النفســانية ويتسببان بتعطيل الأحكام والأوامر الإلهيــة، ويجعلان الناس جاهزين للهلاك. بعبارة أخرى، فان الفســق يؤدي إلى الخروج عن طاعة الله والفجور يســفر عن اتســاع نطاق القبائح والذنوب بين الناس.

ويعتبر القرآن الكريم، الكفار والفجار في زمرة سكان الجحيم:

«وَوُجُــوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَــرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِــکَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ.»[1]

وطــوال التاريخ، نخر الفســق والفجور في جســد عمــوم الحضارات والثقافات فأفسداها وجعلاها تسير نحو الإنحطاط.

وكان الكثيــر مــن الحضارات والأمم نزيهة وســليمة في بــدء قيامها وتأسيسها وكان مؤسسوها، مصلحين ومؤمنين، لكن ومع الزمن، أبتليت واتجهت من الداخل نحو الفســاد والهلاك. إن دوام وبقاء الأمم يعود إلى

١. سورة عبس، الآيات ٤٠-٤٢.

دوام وبقاء العنصر الصانع للحياة، أي الصلاح والسلامة العامة لاسيما لدى القادة والحكام، وكل ما يمكن أن يمنحهم حصانة في مقابل تداعيات الفسق والفساد.

وعلى جميع الأمم أن تعلم بانه وفقا للسُنة الثابتة، إن لم تمنح المجتمعات الحصانة لنفسها في مواجهة الفساد، فان مآلها سيكون الهلاك عاجلا أم آجلا.

۴. حُب الدنيا

إن جميع الأسباب التي ذكرها القرآن الكريم باعتبارها أسباب وعوامل هلاك وزوال الأمم والحضارات، تضرب كلها بجذورها في الشرّ والدناءة، وأن الدناءة والشر يفتقدان إلى عنصر الحياة والحيوية أصلا، مثلما أن الذنوب التي يعتبر قتامها وعتمتها واضحين بالنسبة للمصلحين، تفتقد إلى عامل الحياة.

ومتى ما انتسب الانسان أو قوم ما، إلى هذه العناصر المنتجة للموت، يصبح جاهزا للموت الفناء. وهذا يشبه الانسان الذي يأمل بالنجاة من البحر، لكنه يتمسك بزورق أو سفينة تغرق هي وتبتلعها أمواج البحر.

إن ما يؤدي إلى إخفاء عنصر الموت والفناء من أمام عين الانسان، هو خداع الشيطان وزخرفة الأعمال والمفاسد في عين الانسان. إن من لا يحمل بباطنه عنصر البقاء، لا يؤدي بالضرورة إلى البقاء.

مثلما أنه ورد في الأمثال: «**الغريق يتشبث بكل حشيش.**»

إن النباتات اليابسة أو الطحالب التي تنمو بجانب الجداول والأنهر، لا تشكل مستمسكا وأداة محكمة وقوية للغريق حتى يتمسك بها وينقذ نفسه من الغرق.

وحسبما يقول الشاعر **حافظ الشيرازي**:

إن الدنيا هشة ومتزلزلة، وواصرختاه من هذه الدنيا التي تقتل «فرهاد»، بحيث أن مكائدها وخداعها جعلني أمِلّ من نفسي العذبة

وقال الإمام الصادق(ع) حول حب الدنيا:

«رَأْسُ كُلِ خَطيئَة حُبُّ الدُنْيا.»[١]

وقال مولى الموحدين(ع) كذلك:

«الدُنْيا خُلِقَت لِغَيْرِها ولَمْ تُخْلَق لنَفْسِها.»[٢]

ولتحليل هذه الواقعة، يجب القول، أنه عندما تخرج الدنيا عن كونها وسيلة وسببا وتصبح لدى الانسان والأمم، الوجهة النهائية والغاية الدائمة، فانها ستتحول إلى حجاب وستار سميك يحول دون رؤية الأخطار وتمييز الحق عن الباطل، وبالتالي، فانها تهلك من يحب الدنيا ويلهث وراءها.

إن الدنيا وكل من ينتسب إلى الدنيا العابرة والمتزعزعة، سيهلك، لانها

١. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، طهران، علمية اسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ، ج ٢، ص ٣١٥، باب حب الدنيا
٢. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، «نهج البلاغة»، قم، هجرت، الطبعة الاولى، ١٤١٤ هـ، ص ٥٥٧، الحكمة ٤٦٣

بباطنها هالكة وفانية. واستنادا إلى أشعار نسبت إلى الإمام علي(ع):

إنَّما الدُّنيا فُنَاء لَيْس للدُنْيا ثُبُوت

إنّما الدُّنيا كَبَيْتٍ نَسَجتهُ العَنْكَبوت

إن الدنيا تحمل في باطنها التقلقل والإضطراب وعدم الثبات.

وسوء للأمراء والحكام الذين يظنون أن بوسعهم التعويل على الأبراج والسجون وقوات الحماية لإطالة عمرهم وبقائهم.

إن جميع الأمم والحكام الذين لجأوا من أجل البقاء، إلى قهر المظلومين وقمع واضطهاد المنادين بالحق، قدموا أجلهم وموعد موتهم وفنائهم.

۵. البَطر والفساد المالي

«وَكَمْ أَهْلَكْنَا من قَرْيَة بَطِرَتْ مَعيشَـــتَهَا فَتلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ.»[1]

و «البَطر» تعني الطغيان الناجم عن الإستخفاف والكفر بالنعمة.

إن المتاحــف وكل ما يحتفظ بها كتــذكار للحضارة الحديثة، في موقع الإحتفــاظ بالتحف والقطع الأثرية، ليس من أجل تذكير الخلق وإتعاظهم أثناء مشاهدة رموز وعلامات انهيار الأمم والحضارات. ولا يذهب أحد إلــى المتحــف للإتعاظ والإعتبار ولا يتذكر الموت مع مشــاهدة كل تلك الأعمال والقطع الأثرية والتحف، بل إن الأنسان المعاصر وفي العصر

---

۱. سورة القصص، الآية ۵۸.

الحاضر، أصبح مولعا بنفســه وبحصيلة ما يفرزه العالم الحديث، بحيث يعتبر نفسه وارثا لمجمل الماضي ومتفوقا على الماضي بمجمله، ويريد فــي المتاحف، إظهــار كل التقدم والعصرنة في مقابــل علامات خرافة وجهل الأقدمين، في حينه أنه يتربع على أريكة البطر والطغيان والترف ولا ينحني أمام أي إله ومعبود، سوى النفس الأمارة الفردة والجماعية.

«وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ.»[١]

ويقول الله تعالى في «سورة القصص»:

«لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ.»[٢]

إن طيــش وبطــر المترفين، يمهدان لإنشــغال الناس باللهــو واللعب، ليســتقبلوا بالأحضان الموت والفناء في غاية الجهل وعلى اثر الإنشغال بالعبث والغفلة عن الموت وعدم الإعتناء بالمظلومين.

ويعتبر **ابن خلدون** في «مقدمته» في الفصل الثامن عشــر أن «العيش الرغيد والبهرجة والإنغماس في الملذات والنعمة، تعد من عوائق الملك والحكم.» ويذكر هناك بان الرخاء والكسل، يشكلان أحد الأسباب المهمة للسقوط والزوال الإجتماعي.[٣]

ويقــول القــرآن الكريم بان اللــه تعالى يبتلي الأمــم الغافلة عن الموت

١. سورة الأعراف، الآيتان ٩٠ و ٩١.
٢. سورة القصص، الآية ٧٦.
٣. «مقدمة ابن خلدون»، ترجمة محمد بروين كنابادي، ج ١، صص ٢٦٧ – ١٦٨.

والمنشغلة بالدنيا والتي لا تتذكر النعم الإلهية، بسُنة الإستدراج. فيفتح أبواب النعمة عليهم ويغرقهم في الغرور والبهرجة المجازية للدنيا، ليروا بغتة أنهم يواجهون الذل والهوان، عندما لن يكون هناك أي سبيل أمامهم للنجاة. وفي معنى الإستدراج يقول الإمام الحسين(ع):

«الإِسْتِدْراج مِن اللهِ سُبْحانَهُ لِعَبْدِهِ أنْ يُسْبِغَ عَليهِ النِّعَم ويَسْلِبُهُ الشُّكْر.»[1]

كما جاء في القرآن الكريم:

«وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ.»[2]

۶. الفرقة والتشرذم

إن التعاسة والضعف والعجز أمام العوامل التي تنطوي على تهديد بين جميع الأمم والقبائل، هي وليدة الفرقة والإختلاف والتشرذم. إن جميع مخلوقات سكان عالم الإمكان، تسير نحو الكمال والهداية وفقا لقانون الكون وسنة الله، وفي هذا الخصوص فان الانسان مُخير إن كان من خلال إستغلال «الإختيار» والإعراض عن عامل الهداية، يريد أن يصبح سببا لتشتت وتفرق واضمحلال القوى المنتشرة في الكون.

إن الهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية أثناء مواجهة الشهوات الدنيوية، تمهد للتفرقة والتشرذم وبالتالي إنحطاط وإضمحلال الأمم

---

۱. إبن شعبة الحراني، الحسن بن علي، «تحف العقول»، قم، رابطة المدرسين، الطبعة الثانية، ۱۴۰۴ هـ، ص ۲۴۶.
۲. سورة هود، الآية ۴۸.

المختلفة.

إن واجب الانسان الملتزم والمتعهد بتقليد الوحي، يتمثل في التناغم والتماشي مع ناموس الخلقة والقواعد والسنن الإلهية، لكي يسلك من خلال هذا التناغم، تراتيبة الكمال ويؤدي إلى ازدهار القوى والمواهب الإلهية.

إن موضوع إرسال الرسل وإنزال الكتب، هو موضوع تناسق أفعال الانسان مع إرادة الله في الشؤون الجزئية والكلية للحياة.

إن حضرة خليفة الله ولـيّ حضرة الحق، المزود بعلم وعصمة وإذن الباري تعالى، يتولى في مقام الحجة عمليا ونظريا، الوحدة بين الانسان وإرادة الله، لكن عندما يتمرد الانسان عن طاعة أولياء الله، فانه سيسير في منحدر الإنحطاط والضياع.

«وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.»[١]

«وقد نزلت هذه الآية عندما عرض خباب بن المنذر على رسول الله(ص) أن يتحرك من موقعه وينزل عند موقع فيه ماء، وأن يلتحق هو وعدد كبير برسول الله(ص). والبعض اختلفوا فى هذا الخصوص وعارضوا ذلک وكاد أن يندلع شجار. ومن ثم نزلت هذه الآية الشريفة وقبل رسول الله(ص) بعرض خباب.»[٢]

---

١. سورة الأنفال، الآية ۴۶.
٢. المحقق، محمد باقر، «نموذج البينات في شأن نزول الآيات في منظور الشيخ الطوسي

إن الإختـلاف والفرقـة هما سـبب الهزيمة بينما الوحـدة في النظرية والتطبيق، تجلب النصر.

إن أحـد أهم نتائج عمـل ومكائد ابليس في مجال العلاقات والتعاملات بين خلق العالم، يتمثل في بث الخلاف بينهم فيما يخص القبول بحجة الله بوصفه عامل وحدتهم العملية والنظرية.

وإن نظرتـم إلـى الوضع الثقافـي والحضاري لجميـع الأمم الماضية والتاليـة، سـترون بان التفرق فـي قبول الحجة الإلهيـة، يعد أهم عامل لانـدلاع الإختلاف وبالتالي إنحطاطهـم. وابليس وجنوده، هم الوحيدون الذين يستفيدون من هذا الأمر، بينما الخسارة الأكبر تطال أبناء آدم.

وقال الإمام الصادق(ع) حول الذين يدعون إلى النار:

«الأئمة فی کتاب الله إمَامَان قالَ الله تَبارَکَ وَتَعالی: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَـا»[1] لا بأمْرِ النّاسِ يُقَدِّمُون أمْـرَ الله قَبْلَ أمْرِهم وحُكْمَ الله قَبْـلَ حُكْمِهم. وَقال: «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ»،[2] يُقَدِّمونَ أمْرَهُم قَبْلَ أمْرِ الله وحُكْمَهُـم قَبْلَ حُكْمِ الله وَيأخُذونَ بأهْوائِهم خِلافاً لِمَا فی کتابِ الله.»[3]

ولقـد فوض الله تعالى، أئمة الدين، مسـألة الهدايـة التي تنطوي على النمـو والكمال والحصانة بوجـه الغي والضلال وبالضـرورة الهلاك،

وسائر مفسري الخاصة والعامة»، ص ۴۱۱

۱. سورة الأنبياء، الآية ۷۳.

۲. سورة القصص، الآية۴۱.

۳. الصفار، محمد بن حسن، «بصائر الدرجات في فضائل آل محمد(ع)»، ج ۱، ص ۳۲.

ليقدمـوا أمـر الله علـى أمرهم وأنـاس مثلهم، لإنقاذ النـاس من الهلاك الدنيـوي والإبتـلاء الأخروي بنار جهنم. وفي المقابـل فان الأئمة الذين يدعون إلى النار، فانهم يوفرون من خلال الأنانية وتفضيل رأيهم وأناس على شاكلتهم، على حكم الله، مقدمات وموجبات الهلاك الدنيوي والشقاء الأخروي.

إن العبارة الوحيانية لصادق آل محمد(ص)، تمثل نقدا لمجمل المجال الثقافي والحضاري للغرب الذي يسـتند ويعول على المذهب الانسـاني والعلمانيـة والإباحيـة، وجـرّ على أثر ذللـك العالم وسـكانه إلى الفناء والهلاك.

إن أحد أسـباب وحكـم إنتخاب وتقديم الحجـج الإلهيين، في موضوع ديـن ودنيـا الناس من قبل الله تعالى، هو هدايـة الناس وإنقاذهم من كل التشتت والتفرق والتبعثر وجميع العوامل التي تدفع الانسان بسبب جهله واستبداده إلى هاوية الزوال والفناء.

وعن قدرة الحجج الإلهيين، قال الإمام علي بن موسى الرضا(ع):

«إنَّ العَبـدَ إذَا اختارَهُ اللهُ عَزَّوجَلَّ لأمورِ عباده شَـرحَ لذلكَ صَدرَهُ، وأودَعَ قَلبَهُ يَنابيعَ الحكمَة، وألهَمَهُ العلمَ إلهامًا، فَلَم يَعيَ بَعدَهُ بجَواب، ولا يَحيرُ فيه عَنِ الصَّواب، فَهُوَ مَعصومٌ مُؤَيَّد، مُوَفَّقٌ مُسَـدَّدٌ، قَد أمِنَ الخَطايـا والزَّلَلَ والعثارَ، يَخُصُّهُ اللهُ بذلـك ليَكونَ حُجَّتَهُ عَلى عباده، وشـاهِدَهُ عَلى خَلقِه و«ذلكَ فَضلُ اللهِ يُؤتيهِ مَن يَشاءُ واللهُ ذُو الفَضلِ

العظيم»[1] فَهَل يَقْدِرون عَلى مثلِ هَــذا فَيَخْتارونَهُ أَوْ يَكونُ مُخْتارُهُم بِهذهِ الصِّفَة فَيُقَدِّمونَهُ تَعّــَدوا وبَيْتِ اللهِ الحَقَّ ونَبَذوا كتابَ اللهِ «وَراءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُم لا يَعْلَمون»[2] وفی کتابِ اللهِ الهُدَی والشِّــفاء فَنَبَذوه واتَّبَعوا أهواءَهُم فَذَمَّهُم اللهُ ومَقَتَهُم وأَتْعَسَــهُم فَقال جَلَّ وتَعالی «وَمَنْ أَضَلُّ مِمّنَ اتّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللّهِ إِنّ اللّهَ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِينَ»[3] وقال « فَتَعْسًا لّهُمْ وَأَضَلّ أَعْمَالَهُمْ.»[4 و5]

وإســتنادا إلى السُــنن الجارية في الكون، وتجربة هلاك الأمم الســالفة والــكلام الوحيانــي، يمكــن التنبــؤ بصراحة، بســقوط المجــال الثقافي والحضاري العصري وهلاك ســكان شــرق وغرب هــذا المجال الكبير والمعاصر، ومشاهدة تعاستهم الدنيوية وعذابهم الأخروي.

إن الإعتــزال عن الحجج الإلهيين والغفلة عن الإمام المبين(ع) وتقديم حكمهــم علــى حكم اللــه المتعال في مجــال الفكر المنتمــي إلى المذهب الانساني وإضفاء الأصالة على الهواجس النفسانية (الليبرالية والعلمانية والفردانيــة وبالتالــي الديمقراطية)، هو بمثابة الســير في منحدر رهيب يفضي إلى هاوية النهلستية السحيقة والهلاك والشقاء.

---

١. سورة الجمعة، الآية ٤.
٢. سورة البقرة، الآية ١٠١.
٣. سورة القصص، الآية ٥٠.
٤. سورة محمد، الآية ٨.
٥. الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، المصدر السابق، ج ١، صص ٢٠٢ – ٢٠٣.

ثبت المصادر والمراجع

- «القرآن الكريم»
- «نهج البلاغة»
- إبـن بابويـه، محمد بن علـي، «التوحيد»، قم، رابطة المدرسـين، الطبعة الاولى، ١٣٩٥
- إبـن بابويـه، محمد بن علي «كمال الدين وتمـام النعمة»، طهران، إسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٩٥
- إبن شـعبة الحراني، حسـن بن علي، «تحف العقـول»، قم، رابطة المدرسين، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٣٦٣
- إبـن شـهر اشـوب المازندراني، محمـد بن علي، «مناقـب آل أبي طالب»، قم، علامة، الطبعة الاولى، ١٣٧٩
- إبن هشام، عبد الملك بن هشام، «سيرة ابن هشام»

• العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، «تفسير نور الثقلين»، قم، إسماعيليان، الطبعة الرابعة، ١٤١٥

• البحراني، السيد هاشم بن سليمان، «البرهان في تفسير القرآن»، قم، مؤسسة البعثة، الطبعة الاولى، ١٣٧٤

• برقي، أحمد بن محمد بن خالد، «المحاسن»، قم، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٧١

• برهان، محمد حسين بن خلف، «برهان قاطع»، طهران، نيما للنشر، ١٣٨٠

• «تاريخ البيهقي»، باهتمام بهمنيار، مطبعة اسلامية، الطبعة الثانية

• «تاريخ البيهقي»، باهتمام غني وفياضي، خواجو للنشر

• «تاريخ البيهقي»، باهتمام محمد جعفر ياحقي، مشهد، جامعة الفردوسي، ١٣٨٣

• «تاريخ البيهقي»، باهتمام خليل خطيب رهبر، ج ٣، الطبعة الثامنة، خوارزمي للنشر

• تميمي امدي، عبد الواحد بن محمد، «تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم»، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٣٦٦

• الحلي، حسن بن سلمان، «مختصر البصائر»، قم، مؤسسة النشر الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٤٢١

• خزاز رازي، علي بن محمد، «كفاية الأثر في النص على الأئمة

الإثنى عشر»، قم، بيدار للنشر، ۱۴۰۱

- «الموسوعة الاسلامية»، مؤسسة البحوث ونشر معارف أهل البيت(ع)، www.wiki.ahlobait.com
- «موسوعة القرآن الكريم حسب الموضوع»، معهد بحوث العلوم والثقافة الاسلامية
- دهخدا، علي اكبر، «موسوعة دهخدا اللغوية»
- «ديوان غزليات حافظ»
- راغب اصفهاني، حسين بن محمد، «مفردات ألفاظ القرآن»، بيروت، دمشق، دار القلم، الدار الشامية، الطبعة الاولى، ۱۴۱۲

«شاهنامة الفردوسي»

- الشريف الرضي، محمد بن حسين، «نهج البلاغة»، قم، هجرت، الطبعة الاولى، ۱۴۱۴
- الشيخ حر العاملي، محمد بن حسن، «وسائل الشيعة»، قم، مؤسسة آل البيت(ع)، الطبعة الاولى، ۱۴۰۹
- صفار، محمد بن حسن، «بصائر الدرجات في فضائل آل محمد»، قم، مكتبة اية الله المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ۱۴۰۴
- الطوسي، محمد بن الحسن، «الأمالي»، قم، دار الثقافة، الطبعة الاولى، ۱۴۱۴
- الطوسي، محمد بن الحسن، «الغيبة»، قم، دار المعارف الاسلامية،

الطبعة الاولى، ١٤١١

• الطوسي، محمد بن حسن، «مصباح المتهجد وسلاح المتعبد»، بيروت، مؤسسة فقه الشيعة، الطبعة الاولى، ١٤١١

• الكليني، محمد بن يعقوب، «الكافي»، طهران، علمية اسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧

• عياشي، محمد بن مسعود، «تفسير العياشي»، طهران، المطبعة العلمية، الطبعة الاولى، ١٣٨٠

• «قاموس معين»

• قرشي بنائي، علي أكبر، «قاموس القرآن»، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة السادسة، ١٤١٢

• القمي، علي بن ابراهيم، «تفسير القمي»، قم، دار الكتاب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤

• المجلسي، محمد بن باقر، «بحار الأنوار»، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣

• محقق، محمد باقر، «نموذج البينات في شأن نزول الآيات من وجهة نظر الشيخ الطوسي وسائر المفسرين الخاصة والعامة»، طهران، إسلامي للنشر، ١٣٦١

• مطهري، مرتضى، «الإمدادات الغيبية في حياة الانسان»

• «مقدمة إبن خلدون»، ترجمة محمد بروين كنابادي

• ميبدي، حسين بن معين الدين، «ديوان أمير المؤمنين(ع)»، قم، دار نداء الاسلام للنشر، الطبعة الاولى، ۱۴۱۱